



## عناصر الموضوع

188	مفهوم التوراة
187	التوراة في الاستعمال القرآني
157	الأنفاظ ذات الصلة
10+	اقتران التوراة بالإنجيل في القرآن
101	تلقي موسى عليه السلام ألواح التوراة
17.4	صفات التوراة في القرآن
177	الأحكام التشريعية في التوراة
171	الربانيون والأحبار وحفظ التوراة
179	عيسى عليه السلام والتوراة



### مفهوم التوراة

## أولًا: المعنى اللغوي:

قال أبو حيان: «التّوراة: اسمٌ عبرانيٌّ، وقد تكلّف النّحاة في اشتقاقها، وفي وزنها، وذلك بعد تقرير النّحاة أنّ الأسماء الأعجميّة لا يدخلها اشتقاقٌ، وأنّها لا توزن، يعنون اشتقاقًا عربيًّا»(١).

وقال الطاهر بن عاشور: «هو اسمٌ عبرانيٌّ أصله (طورا) بمعنى الهدى، والظّاهر أنه اسمٌ للألواح الّتي فيها الكلمات العشر الّتي نزلت على موسى عليه السلام في جبل الطّور؛ لأنها أصل الشّريعة الّتي جاءت في كتب موسى، فأطلق ذلك الاسم على جميع كتب موسى، واليهود يقولون (سفر طورا) فلمّا دخل هذا الاسم إلى العربيّة أدخلوا عليه لام التّعريف الّتي تدخل على الأوصاف والنّكرات لتصير أعلامًا بالغلبة: مثل العقبة»(٢).

## ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

جاء في تفسير المنار: «أما التوراة في عرف القرآن فهي ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى عليه الصلاة والسلام؛ ليبلغه قومه لعلهم يهتدون به»(٣).

وقيل: «التوراة اسمٌ للكتاب المنزّل على موسى عليه السلام»(٤).

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرَئِةَ فِيهَا هُدَى وَنُورٌ يَعَكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيتُونَ ٱلَّذِينَ أَسَلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّنِينُونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَكِ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقد أمر الله كثيرًا من الأنبياء بعد موسى بتبليغها؛ قال الرازي: «قوله ﴿ يَمَكُمُ بِهَا النّبِينُونَ اللّهِ النّبِينُ الذين كانوا بعد موسى، وذلك أن الله تعالى بعث في بني إسرائيل ألوفًا من الأنبياء ليس معهم كتاب، إنما بعثهم بإقامة التوراة، حتى يحدوا حدودها، ويقوموا بفرائضها، ويحلوا حلالها، ويحرموا حرامها (٥).

ولقد اعتمد اليهود تسعة وثلاثين سفرًا أطلق عليها اسم (العهد القديم)، ويعتبرونها

<sup>(</sup>١) البحر المحيط، أبو حيان، ٣/٥.

<sup>(</sup>۲) التحرير والتنوير، ۳/ ۱٤۸.

<sup>(</sup>٣) المنار، محمد رشيد رضا ٣/ ١٢٩.

<sup>(</sup>٤) المصدر السابق.

<sup>(</sup>٥) انظر: مفاتيح الغيب ١٢/ ٣٦٥، التحرير والتنوير ٦/ ٢٠٨.

أسفارًا مقدسة، أي: موصى بها، ويطلقون على خمسة منها إطلاقًا حقيقيًا اسم التوراة، أو كتب موسى؛ لأنها في زعمهم قد أنزلها الله على موسى عليه السلام وكتبها موسى بنفسه، وهذه الأسفار الخمسة هي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد.

ولا علاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ لكون اللفظة أصلها أعجمية ثم عربت.

### التوراة في الاستعمال القرآني

وردت التوراة في القرآن (١٨) مرة (١٠). والصيغ التي وردت هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿ زَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِٱلْحَقِي مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَئَةَ وَأَلْإِلَى التَّوْرَئَةَ وَأَلْإِلَى التَّوْرَئَةَ وَأَلْإِنْجِيلَ اللَّ	۱۸	الاسم

وجاءت التوراة في الاستعمال القرآني اسمًا للكتاب الذي أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام (۲).



<sup>(</sup>۱) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي ص ١٥٨. (٢) انظر: تفسير ابن عطية ١/ ٣٩٨، المفردات، الراغب الأصفهاني ص ١٦٨.

#### الألفاظ ذات الصلة

### ١ القرآن:

#### القرآن لغة:

القاف والراء والياء أصل صحيح يدل على الشيء المجموع، وقرأت الشيء قرآنا: جمعته، وضممت بعضه على بعض، وقرأت الكتاب قراءةً وقرآنًا، ومنه سمّي القرآن؛ لأنه يجمع السور فيضمّها(١٠).

#### القرآن اصطلاحًا:

كلام الله تعالى، المنزّل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام، المتعبّدُ بتلاوته، المنقولُ إلينا بالتواتر، المقروءُ في المصاحف، المبدوء بسورة الفاتحة، والمنتهى بسورة الناس»(٢).

### الصلة بين التوراة والقرآن:

تتفق الكلمتان في كونهما كلام الله المنزل من عنده بواسطة جبريل لتبليغه للناس، وتختلفان في اللغة، والإعجاز، والتحريف؛ فالتوراة نزلت على موسى عليه السلام بالعبرية غير معجزة، ولم يتكفل الله بحفظها، فدخل عليها التحريف، بينما القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالعربية، وهو معجز، وقد تكفل الله بحفظه؛ فهو بعيد عن التحريف.

### ٢ الإنجيل:

### الإنحيا لغةً:

قال ابن منظور: «الإنجيل: كتاب عيسى، على نبيّنا وعليه -الصّلاة والسّلام-، يؤنث ويذكّر، فمن أنّت أراد الصّحيفة، ومن ذكّر أراد الكتاب»(٣). ويجمع على أناجيل.

وقد اختلف العلماء في أصله اللغوي، وهل هو عربي أو معرّب، والراجح هو أن كلمة الإنجيل معرّبة.

### الإنجيل اصطلاحًا:

كلمة إنجيل إذا أطلقت فلها معنيان:

<sup>(</sup>١) انظر: الصحاح، الجوهري، ١/ ٦٤، مجمل اللغة، ابن فارس، ١/ ٧٥٠.

<sup>(</sup>٢) انظر: التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، صالح الفوزان، ص٦٦.

<sup>(</sup>٣) لسان العرب، ١١/ ٦٤٨.

الأول: الكتاب المنزل من عند الله تعالى على المسيح عليه السلام، وهو مفقود، ولم يبق منه إلا نتف قليلة مما بين أيدي النصارى الآن، قال الطاهر بن عاشور في تعريفه بهذا المعنى: «اسمٌ للوحى الذي أوحى به إلى عيسى عليه السلام فجمعه أصحابه»(١).

الثاني: الإنجيل الذي تعظّمه النصاري الآن، وهو عبارة عن «أربعة كتبٍ تعرف بالأناجيل الأربعة».

### الصلة بين التوراة والإنجيل:

تتفق التوراة والإنجيل في كونهما كلام الله أنزله من عنده على أنبيائه لتبليغه بني إسرائيل، وهما غير معجزين، ولم يتكفل الله بحفظهما، ويختلفان بأن التوراة أنزلت على موسى، بينما الإنجيل أنزل على عيسى عليهما السلام.

### ٣ الزيور:

### الزبور لغةً:

قال ابن فارس: (زبر) «الزاي والباء والراء أصلان: أحدهما يدل على إحكام الشيء وتوثيقه، والآخر يدل على قراءة وكتابة وما أشبه ذلك، زبرت الكتاب، إذا كتبته، ومنه الزبور»(۲). وقال الكفوي: «كل كتاب غليظ الكتابة يقال له زبور»(۲).

### الزبور اصطلاحًا:

هو كلام الله المنزل وحيًا على رسوله داود عليه السلام ليبلغه لقومه.

### الصلة بين التوراة والزبور:

تتفق التوراة والزبور في كونهما كلام الله أنزله من عنده على أنبيائه لتبليغه بني إسرائيل، وهما غير معجزين، ولم يتكفل الله بحفظهما، ويختلفان بأن التوراة أنزلت على موسى، بينما الزبور أنزل على داود عليهما السلام.

<sup>(</sup>٣) الكليات، ص٤٨٦.



<sup>(</sup>١) التحرير والتنوير، ٣/ ١٤٩.

<sup>(</sup>٢) مقاييس اللغة ٣/ ٤٥.

#### ٤ صحف إبراهيم وموسى:

#### الصحف لغةً:

قال ابن فارس: «الصاد والحاء والفاء أصل صحيح يدل على انبساط في شيء وسعة. يقال: إن الصحيف: وجه الأرض، ومن الباب: الصحيفة، وهي التي يكتب فيها، والجمع: صحائف، والصحف أيضًا، كأنه جمع صحيف»(١).

#### الصحف اصطلاحًا:

وهي كلام الله الذي أنزله على نبيه إبراهيم، وتسمى صحف إبراهيم، وكلام الله المنزل على موسى، وهو التوراة، وتسمى صحف موسى، وهو مذهب أكثر المفسرين، والله أعلم. عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت ﴿سَيِّح ٱسْمَرَيِّكَ ٱلْأَعْلَ اللهُ عليه وسلم: (كلها في صحف إبراهيم وموسى)(٢).

### الصلة بين التوراة وصحف إبراهيم وموسى:

مما سبق يتضح أنه لا فرق بين التوراة وبين صحف موسى، فهما اسمان لمسمى واحد، أما صحف إبراهيم؛ فقد قال ابن عاشور: «وأما صحف إبراهيم فكان المأثور منها أشياء قليلة، وقدرت بعشر صحف، أي مقدار عشر ورقات بالخط القديم، تسع الورقة قرابة أربع آيات من آي القرآن، بحيث يكون مجموع صحف إبراهيم مقدار أربعين آية» (٣).

<sup>(</sup>١) مقاييس اللغة ٣/ ٣٣٤.

<sup>(</sup>٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، رقم ٢٩٣٠، ٢/ ٢٥٨.

<sup>(</sup>٣) التحرير والتنوير ٢٧/ ١٣٠.

## اقتران التوراة بالإنجيل في القرآن

اقترن ذكر التوراة والإنجيل في القرآن ست مرات؛ وفي ذلك إشارة لأمر معين ولحكمة معينة؛ فالتوراة والإنجيل نزلتا على بني إسرائيل، «فالرسالة التي أنزلت على عيسى عليه السلام، مكمّلة لرسالة موسى عليه السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح»(١).

فالتوراة أصل كالقرآن؛ قال ابن تيمية: «والقرآن أصل كالتوراة وإن كان أعظم منها؛ ولهذا علماء النصارى يقرنون بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، كما قال النجاشي ملك النصارى لما سمع القرآن: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة.»(٢).

ولشيخ الإسلام في هذا الأمر كلام نفيس حيث قال: لقد علّم الله المسيح التوراة والإنجيل.

قال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِنْبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَئِةَ وَٱلْإِنْجِيلَ ﴿ اللهِ الله عمران:٤٨].

ومن المعلوم أنه لولا أنه متبع لبعض ما في التوراة لم يكن تعلمها له منّة؛ ألا ترى أنا

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ٥٦٤.

(٢) الجواب الصحيح ١١٦ ١١٦.

نحن لم نؤمر بحفظ التوراة والإنجيل وإن كان كثير من شرائع الكتابين يوافق شريعة القرآن؛ فهذا وغيره يبين ما ذكره علماء المسلمين من أن الإنجيل ليس فيه إلا أحكام قليلة، وأكثر الأحكام يتبع فيها ما في التوراة، وبهذا يحصل التغاير بين الشرعتين.

ولهذا كان النصارى متفقين على حفظ التوراة وتلاوتها كما يحفظون الإنجيل، ولهذا لما سمع النجاشي القرآن قال: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، وكذلك ورقة بن نوفل قال للنبي صلى الله عليه وسلم -لما ذكر له ما يأتيه - قال: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى.

وكذلك قالت الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَبًا أَزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُ مِنْ مِنْ مَا أُونِ مُوسَى مِنْ مَا أُونِ مُوسَى مَا أُونِ مُوسَى مَا أُونِ مُوسَى أَوْلَمَ مَوسَى مِن فَبْلُ ﴾ أُولِمَ مُوسَىٰ مِن فَبْلُ ﴾ [القصص: ٤٨].

فهذا وما أشبهه مما فيه اقتران التوراة بالقرآن وتخصيصها بالذكر يبين ما ذكروه من أن التوراة هي الأصل، والإنجيل تبع لها في كثير من الأحكام، وإن كان مغايرًا لبعضها؛ فلهذا يذكر الإنجيل مع التوراة والقرآن في مثل قوله: ﴿ زُنَّ عَلَيْكَ ٱلْكِئْبَ إِلَّا عَلَيْكَ ٱلْكِئْبَ إِلَّا عَلَيْكَ ٱلْكِئْبَ إِلَّا عَلَيْكَ ٱلْكِئْبَ عَلَيْكَ ٱلْكِئْبَ إِلَا عَلَيْكَ ٱلْكِئْبَ إِلَا عَلَيْكَ ٱلْكِئْبَ إِلَا عَلَيْكَ ٱلْكِئْبَ عَلَيْكَ ٱلْكِئْبَ عَلَيْكَ ٱلْكَئِبَ الْمَا يَهْ عَلَيْكَ ٱلْكَئْبَ الْمَا يَهْ يَدَيْهِ وَأَنْزَلُ ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْهِ فِيلًا

آل عمران:٣].

وقال: ﴿ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَمِنةِ وَأَلْإِنْجِيلِ وَأَلْفُ رُمَانِ ﴾ [التوبة:١١١]، فيذكر الثلاثة تارة، ويذكر القرآن مع التوراة وحدها تارة لحكمة، وهي: أن الإنجيل من وجه أصل ومن وجه تبع، بخلاف القرآن مع التوراة؛ فإنه أصل من كل وجه، بل هو مهيمن على ما بين يديه من الكتاب، وإن كان موافقًا للتوراة في أصول الدين وكتبه بجميع الكتب السماوية. من الشرائع، والله أعلم (١<sup>)</sup>.

> كما ارتبط إنزال التوراة والإنجيل بكيفية واحدة، وهي النزول كاملة غير منجمة بخلاف القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ زَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِلَابُ بِٱلْحَقِّي مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَيْلَةُ وَٱلْإِنجِيلُ اللهِ اللهِ [آل عمران: ٣].

> قال الرازي: «وإنما خص القرآن بالتنزيل، والتوراة والإنجيل بالإنزال، لأن التنزيل للتكثير، والله تعالى نزل القرآن نجمًا نجمًا، فكان معنى التكثير حاصلًا فيه، وأما التوراة والإنجيل فإنه تعالى أنزلهما دفعة واحدة، فلهذا خصهما بالإنزال»(٢).

> وقال أبو السعود: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرِينَةُ وَالْإِنْهِالَ ﴾ [آل عمران: ٣]. تعيينٌ لما بين يديه، وتبيينٌ لرفعة محلّه، تأكيدًا لما قبله وتمهيدًا لما بعده؛ إذ بذلك يترقى شأن ما

ومن أركان العقيدة الإسلامية الإيمان

قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ عَامَنُوا عَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَٱلْكِنْكِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ، وَالْكِتَابِ الَّذِيّ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكُفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَيْهِ كَيْهِ وَكُنُّهِ وَ وَرُسُلِهِ وَ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدّ صَلَّ صَلَكُلُا بَعِيدًا ﴿ النساء: ١٣٦].

والإيمان بها يعنى الإيمان بصحف إبراهيم، والتوراة المنزلة على سيدنا موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، والقرآن الكريم على سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين، هذا مع الانتباه الشديد إلى أمرين: أولًا: أننا نؤمن أن هذه الكتب بأصلها من عند الله إلا أن يد البشر امتدت إليها، تعبث وتحرف، وتؤول وتغير، كما أخبرنا القرآن الكريم عن أهل الكتاب، ثانيًا: أن القرآن هو المنهاج الرباني الأخير للبشر، وهو آخر أمر يسأل الله عنه البشريوم القيامة، فنزل القرآن ناسخًا لما قبله، مهيمنًا

يصدّقه رفعةً ونباهةً، ويزداد في القلوب قبولًا ومهابةً، ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام، أي أنزلهما جملةً على موسى وعيسى عليهما السّلام، وإنما لم يذكرا لأن الكلام في الكتابين لا فيمن أنزلا عليه<sup>(۳)</sup>.

<sup>(</sup>٣) إرشاد العقل السليم ٢/ ٤.

<sup>(</sup>۱) انظر: مجموع الفتاوي، ابن تيمية ١٦/ ٤٥.

<sup>(</sup>٢) مفاتيح الغيب ٧/ ١٣٠.

على ما قبله من الكتب.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْتَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وسيتناول هذا المبحث: وجوب الإيمان بالكتب المنزلة، والكفر بإحداها كفر بها جميعًا، والإيمان بأن التوراة كتاب منزل من عند الله سبحانه وتعالى، وتصديق الإنجيل والقرآن للتوراة المنزلة، ثم القرآن مكذب للتوراة المحرفة، وفيما يلي تفصيل ذلك (١٠). أولًا: وجوب الإيمان بالكتب المنزلة والكفر بإحداها كفر بها:

جاء ذكر الإيمان بالكتب السماوية في القرآن في صيغة الأمر تارة، وصفة للمؤمنين تارة أخرى، وبوصف الكفر لمن لم يؤمن بها تارة ثالثة.

فصيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿ قُولُواْ اللهِ وَمَا أَنْزِلَ إِلَيْ إِبْرَهِ عَمَ الْمَنْ الْمِلْ إِلَيْ إِبْرَهِ عَمَ الْمُزِلَ إِلَيْ إِبْرَهِ عَمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعَ وَمِنَا أُونِيَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعَ وَمِنَا أُونِيَ النّبِيتُونَ مِن دَّبِهِمْ لَا مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِي النّبِيتُونَ مِن دَّبِهِمْ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمْ وَغَنُ لَهُ مُسْلِمُونَ السَّهُ وَلَا البقرة: ١٣٦١].

أما وصف المؤمنين بأنهم هم الذين يؤمنون بالكتب المنزلة كلها ففي قوله تعالى: ﴿ مَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْهِ مِن

رَّيْهِ وَٱلْمُوْمِنُونَّ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَتَهِ كَيْهِ وَكُثْبِهِ وَكُنْ فَاللَّهِ وَمُلْتَهِ كُنْهِ وَمُلْتُهُ وَكُنْ فَاللَّهِ وَمُلْتُهُ وَلَا اللَّهِ وَمُلْتُهُ وَكُنْ فَاللَّهُ وَمُلْتُهُ وَكُنْ فَاللَّهِ وَمُلْتُهُ وَلَا اللَّهِ وَمُلْتُهُ وَلَا اللَّاللَّهِ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهِ وَمُلْتُهُ وَلَا اللَّهِ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهِ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهِ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَالِهُ وَلَا لَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ واللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّاللَّالِ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّالُ

أما وصف الذين لا يؤمنون بالكتب كلها أو الذين يؤمنون ببعضها ويكفرون ببعض بأنهم كفار ففي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرُ بِاللّهِ وَمَلَتَهٍ كَتِهِ وَكُنْبِهِ وَرُسُلِهِ وَأَلْيُومِ الْآخِرِ فَقَدّ صَلَّضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦].

ومفهوم هذه الآيات وأمثالها، سواء كانت أمرًا مباشرًا أو وصفًا للمؤمنين أو وصفًا للكافرين، هو أن الإيمان بالكتب السماوية كلها أمر واجب لا يتم إيمان المرء إلا به.

والإيمان بالكتب ينقسم إلى: إيمان إجمالي، وإيمان تفصيلي؛ فالإيمان الإجمالي: وجوب الإيمان بكلّ كتابٍ أنزله الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ مِن كِتَبِ ﴾ [الشورى: ١٥].

فكل كتاب يجب على العباد أن يؤمنوا به، علموه أم لم يعلموه.

<sup>(</sup>٢) انظر: كائز الإيمان، محمد قطب، ص١٨١.

<sup>(</sup>١) انظر: موقع د. محمد راتب النابلسي.

والإيمان التفصيلي: وهو الإيمان بكل ما سمى الله من كتبه على وجه التفصيل، وقد علمنا من ذلك: القرآن والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وأن لله سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبياءه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها (1).

# ثانيًا: الإيمان بأن التوراة كتاب منزل من عند الله سبحانه وتعالى:

تمتاز العقيدة الإسلامية بالتكامل؛ فهي عقيدة متكاملة، فالإيمان بالكتب السماوية، يتضمن جميع الكتب، ما علمنا وما لم نعلم، ومن هذه الكتب: التوراة؛ فقد وردت آيات كثيرة تتحدث عن إنزال التوراة.

قال تعالى: ﴿ زَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِٱلْحَقِ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْدِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوَرَيْنَةَ وَٱلْإِنْجِيلَ ﴿ ثَنْ ﴾ [آل عمران: ٣].

وقال ايضًا: ﴿ يَتَأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَنَاةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدُوءً أَفَلاَتَمْ قِلُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّا اللّهُ ال

قال السمرقندي: «يعني أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى من قبل هذا الكتاب»(٢).

وقال الرازي: «فاعلم أنه تعالى بين أنه

أنزل التوراة والإنجيل قبل أن أنزل القرآن، ثم بين أنه إنما أنزلهما هدى للناس»(٣).

وقالت نعمة النخجواني: «وأنزل أيضًا التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهما السّلام مصدقين كذلك لعموم ما مضى من الكتب السابقة، ﴿مِن مَبْلُ ﴾ أي: قبل إنزال القرآن عليك، ومن سنته سبحانه إنزال اللاحق مصدقًا للسابق، لكون الكل هدى للنّاس أي نازلًا من عنده سبحانه لمصلحة الهداية، يهديهم الى توحيده الذاتي عند ظهور أمارات الغي والضلال»(٤).

ولقد ذم الله اليهود حيث لم يؤمنوا بما جاء في توراتهم.

قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ اللَّهِ وَلَكُ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ اللَّهِ فَكَرَ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ التَّوَرَينَةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ فَكَرَ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعَد ذَالِكَ وَمَا أُوْلَتَهِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ اللّهُ اللّهُ وَمِنينَ اللّهُ اللّهُ وَمِنِينَ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ اللّهُ وَمِنْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

قال المراغي: "إن أمرهم لمن أعجب العجب، وما سبب ذلك إلا أنهم ليسوا مؤمنين بالتوراة إيمانًا صحيحًا، ولا هم مؤمنين بك، إذ المؤمن بشرع لا يرغب عنه إلى غيره إلا إذا آمن بأن ما رغب إليه شرع من الله أيضًا، أيّد به الأول، أو نسخه لحكمة اقتضت ذلك، ولكن هؤلاء تركوا حكم التوراة التي يدعون الإيمان بها؛ لأنه لم يوافق

<sup>(</sup>١) انظر: دراسات في العقيدة، سعد عاشور ص ٢١٠.

<sup>(</sup>٢) تفسير السمرقندي ١/ ١٩٣.

<sup>(</sup>٣) مفاتيح الغيب ٧/ ١٣٢.

<sup>(</sup>٤) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ١/ ٩٨.

أهواءهم وجاءوك يطلبون حكمك، رجاء أن يوافق أهواءهم، ثم يتولون ويعرضون عنه، إذ لم يأت وفق مرادهم»(١١).

## ثالثًا: تصديق الإنجيل والقرآن للتوراة المنزلة:

جاء القرآن مؤيدًا للحق الذي ورد في الكتب السماوية من عبادة الله وحده، والإيمان برسله، والتصديق بالجزاء، ورعاية الحق والعدل، والتخلق بالأخلاق الصالحة؛ وهو في الوقت ذاته مهيمنٌ عليها، ومبينٌ ما وقع فيها من أخطاء وأغلاط، وتحريف وتصحيف، وتغيير وتبديل.

وإذا انتفت هذه الأخطاء التي أدخلها رجال الدين على الكتب السماوية وزوروها على الناس باسم الله، ظهر الحق، واستبان، والتقى القرآن مع التوراة والإنجيل.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا هَلُ الْكِنَابِ لَسَتُمْ عَلَى مَنَ مَ عَلَى مَنَ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَنَ مُنَا اللَّهُ مَن مُن مُن رَّبِكُمْ ﴾ [المائدة: ٢٨].

وإقامتها لا تتحقق إلا بعد تطهيرها من الزيف (٢).

ولقد جاءت الآيات تؤكد على تصديق القرآن للتوراة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَامِنُوا

- (١) تفسير المراغي ٦/ ١٢١.
- (٢) انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص ١٦٨.

بِمَآ أَنزَلَ ٱللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْمَا وَيَكُفُرُونَ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْمَا وَيَكُفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِقًالِمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٩١].

وقال أيضًا: ﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَابَ الْمِنَاءُ عَالَمُ اللَّهِ الْمَاءَكِا. عَامِنُوا عِمَا نَظُمُ ﴾ [النساء: ٤٧]. وقال أيضًا: ﴿ زَلَ عَلَيْكَ الْكِنَابَ بِالْحَقِ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَزَلَ التَّوْرَانَةَ وَالْإِنِيلَ ( ) ﴾ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَزَلَ التَّوْرَانَةَ وَالْإِنِيلَ ( ) ﴾ [آل عمران: ٣].

قال الطبري: ﴿مُمَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يعني بذلك القرآن، أنه مصدّق لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله، ومحقق ما جاءت به رسل الله من عنده (٣).

وقال السمعاني: «القرآن مصدق لما قبله من التوراة والإنجيل»(٤).

وقال السعدي: «فهو المزكي لها، فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون»(٥).

والإنجيل أيضًا جاء مصدقًا للتوراة؛ قال تعالى: ﴿وَمُمَكِدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَى مِنَ قَالَ تعالى: ﴿وَمُمَكِدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَى مِنَ مِنَ اللَّذِي حُرِّمَ التَّوْرَكِيةِ وَلِأُمِلَ لَكُم بَعْضَ اللَّذِي حُرِّمَ عَلَيْحَمُ اللَّهِ عَلَيْحَمُ مَّا لَقَوْا اللّهَ عَلَيْحُمُ مَا تَعُوا اللّهَ وَاللّهَ وَاللّهَ وَاللّهَ وَاللّهَ وَاللّهَ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلَّهُ وَلَّا لِلللّهُ وَلِلْمُلْعُلّمُ واللّهُ وَلّمُ وَلّهُ وَلّهُ وَلِمُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُو

وفي مفهوم هذه الآية أيضًا تصديق عيسى للتوراة كما قال الطبري: «وإنما قيل:

- (٣) جامع البيان ٦/ ١٦٠.
- (٤) تفسير القرآن ١/ ٢٩١.
- (٥) تيسير الكريم الرحمن، ص١٢١.

﴿ وَمُصَدِقًا لِمَا بَيْتَ يَدَى مِنَ ٱلتَّوْرَسَةِ ﴾؛

لأن عيسى صلوات الله عليه، كان مؤمنًا بالتوراة مقرًّا بها، وأنها من عند الله. وكذلك الأنبياء كلهم، يصدّقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله، وإن اختلف بعض شرائع أحكامهم، لمخالفة الله بينهم في ذلك، مع أنّ عيسى كان -فيما بلغنا- عاملًا بالتوراة لم يخالف شيئًا من أحكامها، إلا ما خفّف الله عن أهلها في الإنجيل، مما كان مشددًا عليهم فيها»(١).

وقال ابن عطية: «وكان عيسى عليه السلام مصدقًا للتوراة متبعًا عاملًا بما فيها، قال وهب بن منبه: كان يسبت، ويستقبل بيت المقدس» (٢).

وقال الرازي: «يجب على كل نبي أن يكون مصدقًا لجميع الأنبياء عليهم السلام، لأن الطريق إلى ثبوت نبوتهم هو المعجزة، فكل من حصل له المعجز، وجب الاعتراف بنبوته، فلهذا قلنا: بأن عيسى عليه السلام يجب أن يكون مصدقًا لموسى بالتوراة، ولعل من جملة الأغراض في بعثة عيسى عليه السلام إليهم: تقرير التوراة، وإزالة عليه السلام إليهم: تقرير التوراة، وإزالة شبهات المنكرين وتحريفات الجاهلين»(").

الكتب السابقة، أي: رقيب عليها، لأنه

يشهد بصحتها، ويقرر أصولها، وما يتأبّد من فروعها، ويبيّن أحكامها المنسوخة بتعين وقت انتهاء مشروعيتها، أو على معنى أنه أمين عليها، فما أخبر عن صدقه مما ورد فيها صدّق، وما أخبر بزيفه فهو باطل أو على معنى أنه الحافظ لها، فهو الذي حفظ ما جاء فيها من التوحيد، وكليات الدين إلى يوم القيامة، أو على معنى أنه دال على صدقها، أي هو دليل على أنها من عند الله، لأنه جاء كما نعتته هذه الكتب، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا لِللَّهِ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ عَلَى صَدَقَهَا لِللَّهُ الْكِتَبُ وَلَيْكَ الْكِتَبُ وَالْمَلْنَا فَي اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الل

قال الطبري: «أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظًا لها»(٤).

وقال الزمخشري: «مهيمنًا ورقيبًا على سائر الكتب؛ لأنه يشهد لها بالصحة والثبات»(٥٠).

قال الواحدي: «أي: شاهدًا وأمينًا وحفيظًا ورقيبًا على الكتب التي قبله»(٢).

## رابعًا: القرآن مكذّب للتوراة المحرفة:

أنزل الله التوراة على اليهود، فحرفوها وخلطوا الحق بالباطل.

<sup>(</sup>۱) جامع البيان، الطبري ٦/ ٤٣٨.

<sup>(</sup>۲) المحرر الوجيز ۱/ ٤٤١.

<sup>(</sup>۳) مفاتیح الغیب ۸/ ۲۳۰.

<sup>(</sup>٤) جامع البيان ١٠/ ٣٧٧.

<sup>(</sup>٥) الكشاف ١/ ٦٤٠.

<sup>(</sup>٦) الوجيز ٣٢٢.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِالْبَطِلِ وَتَكُنُبُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعَلَّمُونَ ﴿ اللَّهِ وَتَكُنُّمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعَلَّمُونَ ﴿ اللَّهِ وَتَكُنُّمُونَ اللَّهُ اللَّهِ وَذَكَا اللَّهِ وَذَكَا اللَّهِ وَذَكَا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

ولم يتكفل الله بحفظ التوراة، لكنه فند لنا كذب اليهود وافتراءهم عليه وعلى أنبيائه في كثير من الآيات، نقف على بعض الأمثلة. المثال الأول: وصفوا الله بأنه ندم على فعله؛ فمن ذلك قولهم: «فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»(١).

وقد كذبهم الله في ذلك فقال: ﴿ لَا يُسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴿ لَا يُسْتَلُ وَقَالَ الْفَهَا: ﴿ قُلْ مَا يَمْ بَوُّا بِكُرْ رَبِّ لَوْلَا وَقَالَ الْفَهَا: ﴿ قُلْ مَا يَمْ بَوُّا بِكُرْ رَبِّ لَوْلَا دُعَا وَكُمْ مَنْ لِكُونُ لِزَامَنا دُعَا وَكُمْ مَنْ لِلْمَا الْفر لَا الْفر الفرقان: ٧٧]. وهل يندم إلا الغر المجاهل بالعواقب، والله عز وجل منزه عن ذلك (٢).

المثال الثاني: وصفهم الله عز وجل بالتعب، فقد زعم اليهود في كتابهم أن الله عز وجل تعب من خلق السموات والأرض فاستراح في اليوم السابع، فقد ورد في توراتهم المحرفة ما نصه: «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل» "".

وورد أيضًا: «لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس»(٤).

وقدرد الله عز وجل عليهم، وبين بطلان قولهم هذا في قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَكَ السَّمَاوَتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيْنَامٍ وَمَا مَسَنَا مِن لُغُوبٍ ﴿ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ ال

المثال الثالث: تزعم التوراة أن بني إسرائيل رأوا الله عز وجل، فتقول: «لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء»(٥)، «وفيها ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله، وأكلوا وشربوا»(١)، وجاء أيضًا: «ويكلم الرب موسى وجهًا لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه»(١).

وقد فند القرآن كذبهم فقال: ﴿ وَإِذَ قُلْتُمْ يَكُوسَىٰ لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَقَّىٰ زَى اللهَ جَهَرَةً فَأَخَذَ ثَكُمُ الصَّلْعِقَةُ وَأَنتُمْ نَظُرُونَ ﴿ اللهِ مَا اللهِ اللهِ مَا اللهُ الل

وقال أيضًا: ﴿ وَأَخْنَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَنْنِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِ لَوَ

<sup>(</sup>١) سفر الخروج ٣٢/ ١٤.

<sup>(</sup>٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، ص ١٠٦.

<sup>(</sup>٣) سفر التكوين ٢/٢.

<sup>(</sup>٤) سفر الخروج ٣١/ ١٧.

<sup>(</sup>٥) سفر الخروج ١٩/ ١١.

<sup>(</sup>٦) سفر الخروج ٢٤/ ١٠.

<sup>(</sup>V) المصدر السابق ۱۳/ ۱۱.

ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

بل إن موسى عليه السلام نفسه لم ير الله عز وجل كما قال القرآن الكريم: ﴿ وَلَمَّا جَلَّة مُوسَىٰ لِمِيقَائِنَا وَكُلَّمَهُ، رَبُّهُ، قَالَ رَبّ أَرِني أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَينِي وَلَكِن ٱنْظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَىنِيُّ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَكِيلِ جَعَلَهُ دَكَّ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقَاً فَلَنَّا أَفَاقَ قَالَ شُبْحَنَكَ ثَبَّتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٤٣].

المثال الرابع: ولقد اعتدوا على أنبياء الله، فقالوا عن نوح عليه السلام: «وابتدأ نوح يكون فلاحًا، وغرس كرمًا، وشرب من الخمر وتعرى داخل خبائه»(١).

هكذا وصفوا نبى الله نوحًا عليه السلام وهو أول أنبياء الله إلى المشركين، والذي دعا قومه إلى دين الله ألف سنة إلا خمسين عامًا كما ذكر الله عز وجل، حيث قال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ، فَلَبِثَ فِيهِمَ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَاتُ وَهُمَّ ظَلِيلُمُونَ الله [العنكبوت: ١٤].

ولقد امتن الله على بني إسرائيل أنهم ذرية ذلك العبد الصالح نوح عليه السلام فقال تعالى: ﴿ وَمَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِئْكِ وَجَعَلْنَهُ هُدًى لِيَنِيَ إِسْرَوِيلَ أَلَّا تَنَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا أَنَّ ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ

## شِئْتَ أَهْلَكُنَهُم مِن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا عِا فَعَلَ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ١٠٠٠ [الإسراء:٢-٣](١٠).

المثال الخامس: زعموا أن هارون عليه السلام هو الذي صنع لهم العجل ودعاهم إلى عبادته، فقالوا: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا... فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في أذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها.... فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالإزميل، وصنعه عجلًا مسبوكًا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل»(٣).

وقد بين الله عز وجل في القرآن أن الذي صنع لهم العجل هو السامري، فقال عز وجل: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدَّ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلُّهُ السَّامِرِيُّ اللَّهِ الله ١٨٥].

أما هارون عليه السلام فقد قام بواجبه من ناحية نهيهم عن عبادة العجل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَمُهُمْ هَنُرُونُ مِن قَبْلُ يَنقَوْمِ إِنَّمَا فَيَنتُم بِدِّ وَإِنَّ رَبُّكُمُ ٱلرَّحْنَنُ فَأَنَّيْعُونِي وَأَطِّيعُوا أَمْرِي 🐠 [طه: ۹۰].

<sup>(</sup>١) سفر التكوين ٩/ ٢٠.

<sup>(</sup>٢) انظر: الأديان والمذاهب، جامعة المدينة، ص ۱۵۷.

<sup>(</sup>٣) سفر الخروج ١/٣٢.

## تلقي موسى عليه السلام ألواح التوراة

لقد أنزل الله على النبيين الرسالات، واختص موسى بالتوراة؛ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَئِنَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة:٤٤].

والصحف؟ ﴿ مُمُنِ إِبْرَهِمَ وَمُوسَىٰ ﴿ الْأَعلَى: ١٩].

والألواح؛ ﴿ وَكَتَبَّنَا لَهُ فِي ٱلْأَلُواحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الأعراف: ١٤٥].

وهناك من فرّق بينهم، قال ابن كثير: «وقيل: الألواح أعطيها موسى قبل التوراة»(١).

ولم يثبت بخبر صحيح أن التوراة غير الألواح وغير الصحف، بينما كثير من المفسرين اعتبروها شيئًا واحدًا.

قال القرطبي: «﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ. فِي الْأَوْلِحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]: يريد التوراة» (٢٠).

قال السمعاني: «في قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ، فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أراد به التوراة »(٣).

وقال الزحيلي: «أنزل الله تعالى على موسى الألواح، وفيها التوراة المشتملة على أصول العقيدة والأخلاق والآداب والشريعة والأحكام المفصلة المبينة

- (١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٧٤.
- (٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٨١.
  - (٣) تفسير القرآن ٢/ ٢١٤.

للحلال والحرام»(٤).

«وتختلف الروايات والمفسرون في شأن هذه الألواح، ويصفها بعضهم أوصافًا مفصلة - نحسب أنها منقولة عن الإسرائيليات التي تسربت إلى التفسير - ولا نجد في هذا كله شيئًا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنكتفي بالوقوف عند النص القرآني الصادق لا نتعداه، وما تزيد تلك الأوصاف شيئًا أو تنقص من حقيقة هذه الألواح، أما ما هي، وكيف كتبت، فلا يعنينا هذا في شيء، بما أنه لم يرد عنها من النصوص الصحيحة شيء» (٥).

وما ذكره القرآن بشأنها هو تلقي موسى عليه السلام لها، وذهابه بها إلى قومه، ثم إلقائها عند غضبه منهم، وفيما يلي تفصيل ذلك.

# أولًا: موسى عليه السلام يتلقى الألواح على جبل الطور:

لقد تلقى موسى الألواح عند ذهابه لميقات ربه على جبل الطور.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَلَةَ مُوسَىٰ لِمِيقَلِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُهُ وَقَالَ رَبِّ أَرِنِ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَيْنِي وَلَيْكِن النظر إِلَى الْجَبَلِ فَإِن السّتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَيْنِ ۚ فَلَمَّا جَعَلَىٰ رَبُهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ وَحَدَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ جَعَلَهُ وَحَدًّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ

- (٤) التفسير المنير، الزحيلي ٩/ ٨٧.
- (٥) انظر: في ظلال القرآن ٣٠/ ١٣٧٠.

سُبْحَننَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أُوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ شُنْ قَالَ يَنُوسَى إِنِّ آصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَكَنتِي وَبِكَلَيمِ فَخُذْ مَا ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّيرِينَ وَبِكَلَيمِ فَخُذْ مَا ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّالِ المُعْرِينَ الشَّالُ [الأعراف: ١٤٣-١٤٤].

بعد أن ذكر الله ما أنعم به على بنى إسرائيل، من النجاة من العبودية، ومن جعلهم أمة حرة مستقلة قادرة على القيام بما يشرعه الله لها من العبادات والأحكام، ذكر هنا بدء وحي الشريعة لموسى عليه السلام، ممتنا عليهم بما حصل لهم من الهداية بتكليم موسى وإعطائه التوراة، وفيها تفاصيل شرعهم وبيان ما يقربهم من ربهم من وعد بنى إسرائيل وهو بمصر، إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله؛ فيه بيان عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله؛ فيه بيان موسى ربه الكتاب، فبينت هذه الآيات كيفية موسى ربه الكتاب، فبينت هذه الآيات كيفية نزول هذا الكتاب، وهو التوراة (۱).

قال الواحدي: «ولمّا جاء موسى في الوقت الذي وقّتنا له، وسمع كلام الله، قال: ربّ إنّي قد سمعت كلامك فأنا أحبّ أن أراك، قال: لن تراني في الدّنيا، ولكن اجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك وهو الجبل، فإن استقرّ مكانه أي: سكن وثبت، فسوف تراني، وإن لم يستقرّ مكانه فإنّك لا تطيق رؤيتي، كما أنّ الجبل لا يطيق رؤيتي، فلمّا

وقد أمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ ما في الألواح بقوة، لأن الأمور العقدية بحاجة للأخذ بقوة.

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلُواجِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَقْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأَمُر قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُرُ دَارَ ٱلْفَنسِقِينَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُولِيَّا اللهُ ا

يقول سيد قطب: إن العقيدة أمر هائل عند الله، وأمر هائل في حساب هذا الكون، وقدر الله الذي يصرفه، وأمر هائل في تاريخ الإنسان وحياته في هذه الأرض، وفي الدار الآخرة كذلك...وأمر له هذه الخطورة عند الله، وفي حساب الكون، يجب أن يؤخذ بقوة، وأن تكون له جديته في النفس، وصراحته وحسمه، ولا ينبغي أن يؤخذ في رخاوة، ولا في تميع، ولا في ترخص، ذلك رخاوة، ولا في تميع، ولا في ترخص، ذلك باهظة لا يصبر عليها من طبيعته الرخاوة باهظة لا يصبر عليها من طبيعته الرخاوة

ظهر وبان جعله دكًا، أي: مدقوقًا مع الأرض كسرًا ترابًا، وسقط موسى مغشيًّا عليه، فلما أفاق قال: سبحانك! تبت إليك من مسألتي الرّؤية في الدّنيا، وأنا أوّل قومي إيمانًا، قال: يا موسى إني اتّخذتك صفوةً على الناس بوحيي، وكلّمتك من غير واسطة، فخذ ما آتيتك من الشّرف والفضيلة، وكن من الشاكرين لأنعمي في الدنيا والآخرة»(٢).

<sup>(</sup>۲) الوجيز، ص٤١٢.

<sup>(</sup>١) انظر: تفسير المراغي ٩/ ٥٥.

والتميع والترخص(١).

# ثانيًا: موسى عليه السلام يذهب بالألواح إلى قومه:

ولقد بدّلت بنو إسرائيل في غياب موسى عليه السلام لميقات ربه، فعبدوا العجل.

قال تعالى: ﴿ وَالْمَعْدَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعَدِيهِ مِنْ كُلِيَهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوارُّ أَلَمْ يَرَوَا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَكِيلًا ٱلْمَعْدُوهُ وَكَانُوا ظَلِمِينَ الْكَانُ [الأعراف: ١٤٨].

قال الثعلبي: «وكانت بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية في الإسلام، وكان لهم يوم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي، فزامن ذلك عيدهم، فاستعاروا الحلي للقبط، فلما أخرجهم الله من مصر وغرق فرعون؛ بقيت تلك الحلي في أيديهم فاتخذ السامري منها عجلًا، وهو ولد البقر عجلًا جسدًا مجسّد لا روح فيه»(٢).

فعبدوه، ثم تبين لهم الحق فندموا. قال تعالى: ﴿ وَلِمَّا سُقِطَ فِت أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَكُوا قَالُوا لَيْن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِمِينَ (الأعراف: ١٤٩].

قال القشيري: «حين تحققوا بقبح صنيعهم تجرّعوا كاسات الأسف ندمًا، واعترفوا بأنهم خسروا إن لم يتداركهم من

- (١) انظر: في ظلال القرآن ٣/ ١٣٧٠.
  - (٢) الكشف والبيان ٤/ ٢٨٥.

الله جميل لطفه»(٣).

ويقول ابن عطية: «وقول بني إسرائيل وَلَيْنِ لَّمْ يَرْحَمْنَارَبُّنَا ﴾ إنما كان بعد رجوع موسى وتغييره عليهم، ورؤيتهم أنهم قد خرجوا عن الدين ووقعوا في الكفر»(٤).

ولقد رجع موسى من ميقات ربه حاملًا الألواح لقومه.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ عَمْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللّ

يقول بعض المفسرين إن الله قد أخبره بصنيع قومه قبل عودته، قال الطبري: «لأن الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه، وأن السامري قد أضلهم، فكان رجوعه غضبان أسفًا لذلك» (٥).

وقال البعض الآخر أنه عرف ذلك الصنيع بعد أن رآهم، قال الرازي مفصلًا المسألة: «اعلم أن قوله: ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا لا يمنع من أن يكون قد عرف خبرهم من قبل في عبادة العجل، ولا يوجب ذلك؛ لجواز أن يكون عند الرجوع ومشاهدة أحوالهم صار كذلك، فلهذا السبب اختلفوا فيه؛ فقال قوم: إنه عند هجومه عليهم عرف ذلك. وقال أبو مسلم: بل كان عارفًا بذلك من قبل، وهذا أقرب.

- (٣) لطائف الإشارات ١/ ٥٧٢.
  - (٤) المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٦.
    - (٥) جامع البيان ١٣/ ١٢٠.

ويدل عليه وجوه:

الأول: أن قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ - عَضْبَنَ أَسِفًا ﴾ يدل على أنه حال ما كان راجعًا كان غضبان أسفًا، وهو إنما كان راجعًا إلى قومه قبل وصوله إليهم، فدل هذا على أنه عليه السلام قبل وصوله إليهم كان عالمًا بهذه الحالة.

الثاني: أنه تعالى ذكر في سورة طه أنه أخبره بوقوع تلك الواقعة في الميقات، (١).

قال السمعاني: «وكأن موسى رجع نادمًا حزينًا يقول: ليتني كنت فيهم فلم يقع لهم ما وقع»(٢).

وفي قول موسى لهم: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْنَ رَبِكُمْ ﴾، قال البيضاوي: «أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين، وقدرتم موتي، وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم»(٣).

وقال الخازن: «وقيل معناه: أعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل»(٤).

ويقول ابن كثير: «استعجلتم مجيئي إليكم، وهو مقدر من الله تعالى» (٥٠).

وخلاصة الأمر: أن موسى رجع من الطور بعد أن كلمه ربه، حاملًا ألواح التوراة،

وقد استشاط غضبًا من قومه بسبب عبادتهم العجل.

# ثالثًا: مشهد إلقاء موسى عليه السلام للألواح عند غضبه من قومه:

لقد عاد موسى من جبل الطور غضبان أسفًا حزينًا على ما صدر من قومه، ويصور لنا القرآن الكريم مشهد عودته غاضبًا مترجمًا غضبه بإلقاء الألواح، وجر رأس أخيه هارون.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ عَصْبَنَ أَسِفًا قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُمُونِ مِنْ بَعَدِى أَا عَضِبَنَ أَسِفًا قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُمُونِ مِنْ بَعَدِى أَا عَضِلْتُمْ أَمْ إِنَّ الْقَوْمَ وَأَلْفَى الْأَلُواحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهُ قَالَ أَبْنَ أُمْ إِنَّ أَلْقَوْمَ الشَّعْمَقُونِ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِت بِ اللَّعْدَاءُ وَلَا تَبْعَمُنُونِ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِت بِ اللَّعْدَاءُ وَلَا تَبْعَمُنُونِ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِت بِ اللَّعْدَاءُ وَلَا تَبْعَلَنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّلِيلِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُعْمِلُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعَلِمُ اللَّهُ الْمُؤْمِ اللَّهُ اللَّهُ الل

لقد عاد موسى إلى قومه غضبان أشد الغضب، يبدو انفعال الغضب في قوله وفعله، يبدو في قوله لقومه ﴿ إِنْسَمَا خَلَقْتُهُونِ مِنْ بِعَدِى ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمَ رَبِّكُمْ ﴾، ويبدو في فعله إذ يأخذ برأس أخيه يجره إليه ويعنفه، ﴿ وَأَخَذَ بِرأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ ۚ إِلَيْهِ ﴾، وحق لموسى عليه السلام أن يغضب، فالمفاجأة قاسية، والنقلة بعيدة: تركتكم على الهدى فخلفتموني بالضلال، وتركتكم على عبادة فخلفتموني بعبادة عجل جسد له خوار.

<sup>(</sup>١) مفاتيح الغيب ١٥/ ٣٧١.

<sup>(</sup>٢) تفسير القرآن ٢/ ٢١٧.

<sup>(</sup>٣) أنوار التنزيل ٣/ ٣٥.

<sup>(</sup>٤) لبأب التأويل ٢/ ٢٥٢.

<sup>(</sup>٥) تفسير القرآنُ العظيم ٣/ ٤٧٦.

﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ

الكون وهي حركة تدل على شدة الانفعال، فهذه الألواح هي التي كانت تحمل كلمات ربه، وهو لا يلقيها إلا وقد أفقده الغضب زمام نفسه، وكذلك أخذه برأس أخيه يجره إليه، وأخوه هو هارون العبد الصالح الطيب، فأما هارون فيستجيش في نفس موسى عاطفة الأخوة الرحيمة، ليسكن من غضبه، ويكشف له عن طبيعة موقفه، وأنه لم يقصر في نصح القوم ومحاولة هدايتهم.

﴿ قَالَ آبَنَ أَمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْنُلُونَنِي ﴾

وهنا ندرك كيف كان القوم في هياجهم واندفاعهم إلى العجل الذهب، حتى لهموا بهارون إذ حاول ردهم عن التردي والانتكاس.

وفلا تُشمِت في الأعداء ولا تَعَعلني مع القور الظّليمين في وهذه أخرى يستجيش بها هارون وجدان الأخوة الناصرة المعينة، حين يكون هناك الأعداء الذين يشمتون، ولا تجعلني مع القوم الذين ضلوا وكفروا بربهم الحق، فأنا لم أضل ولم أكفر معهم، وأنا بريء منهم، عندئذ تهدأ ثائرة موسى أمام هذه الوداعة وأمام هذا البيان، وعندئذ يتوجه إلى ربه، يطلب المغفرة له ولأخيه، ويطلب الرحمة من أرحم الراحمين.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا

### فِ رَحْمَتِكُ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّحِينَ ﷺ [الأعراف: ١٥١].

وهنا يجيء الحكم الفاصل من الله (١)، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اَتَّخَذُوا الْمِجْلَ سَيَنَا أَكُمْ غَضَبُ مِن رَّبِهِم وَذِلَةٌ فِي الْمُيَوْةِ الدُّيْا وَكَذَالِكَ جَرِي مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورً رَبِّ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورً رَجِيعُ اللهِ الْعراف:١٥٢-١٥٣].

واستكمالًا للمشهد، فلما هدأت نفس موسى وأذهب الله عنه الغضب عاد فأخذ الألواح.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْمَصَدَ عَن مُوسَى الْمَصَدَ اللهُ الْمَاتُ وَفِ نُسْخَتِهَا هُدُى وَرَحْمَةً اللهُ اللهُ عَن اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّه

قال المراغي: «أي ولما سكن غضب موسى باعتذار أخيه إليه، ولجأ إلى رحمة ربه وفضله، وجأر بالدعاء له أن يغفر له ولأخيه خطاياهما؛ عاد إلى الألواح فأخذها، وفيها الهدى والرشاد من بارئ النسم لمن يرهب الله، ويخشى عقابه، ويرجو ثوابه» (٢).

<sup>(</sup>١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/ ١٣٧٥.

<sup>(</sup>٢) تفسير المراغي ٩/ ٧٦.

### صفات التوراة في القرآن

لقد وصف الله التوراة في القرآن الكريم بصفات عديدة؛ فقد وصفها بأنها هدى، وأنها نور، كما وصفها بالفرقان، والضياء، والذكر، والرحمة، وفيما يلي تفصيلٌ لتلك الصفات:

#### ۱. هدی.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرَدَةَ فِيهَا هُدَى وَوُرُّ ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال الطبري: «إنا أنزلنا التوراة فيها بيان ما سألك هؤلاء اليهود عنه من حكم الزانيين المحصنين»(١).

قال الزمخشري: «فيها هدىً يهدى للحق والعدل»(٢).

وقال الرازي: «فالهدى: محمول على بيان الأحكام والشرائع والتكاليف» (٣).

ويقول ابن الجوزي: «والهدى: البيان؛ فالتّوراة مبيّنة صحة نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ومبينة ما تحاكموا فيه إليه» (٤).

وقال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِئْلَبَ وَجَعَلْنَهُ هُدًى لِبَنِيَ إِسْرَو مِلَ أَلَّا تَذَخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا اللهِ الإسراء: ٢].

قال ابن أبي حاتم: «جعله الله لهم هدى،

يخرجهم من الظلمات إلى النور وجعله رحمة لهم»(٥).

وجاء في روح البيان: «هاديًا لأولاد يعقوب، يهتدون إلى الحق والصواب بما فيه من الأحكام»(\*).

وقال تعالى أيضًا: ﴿ زَلَ عَلَيْكَ الْكِلْبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَلِكَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿ مِن مِّلُ هُدَى لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:٣-٤].

قال السمرقندي: «هدى للنّاس معناه: وأنزل التّوراة على موسى، والإنجيل على عيسى عليهما السلام، بيانًا لبني إسرائيل من الضلالة»(٧).

#### ۲. نور.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرَدَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال الطبري: «﴿وَنُورٌ ﴾ يقول: فيها جلاء ما أظلم عليهم، وضياء ما التبس من الحكم»(^^).

يقول الزمخشري: «ونورٌ يبين ما استبهم من الأحكام»(٩).

ويقول: ابن الجوزي: «والنور: الضياء الكاشف للشبهات، والموضح

<sup>(</sup>۱) جامع البيان ۱۰/ ٣٣٨.

<sup>(</sup>۲) الكشاف ۱/ ۲۳۲.

<sup>(</sup>٣) مفاتيح الغيب ١٢/ ٣٦٥.

<sup>(</sup>٤) زاد المسير ١/ ٥٥١.

<sup>(</sup>٥) تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٣٠٩.

<sup>(</sup>۱) روح البيان ٥/ ١٣١.

<sup>(</sup>V) تفسير السمرقندي ١/ ١٩٣.

<sup>(</sup>۸) جامع البيان ۱۰/ ٣٣٨.

<sup>(</sup>٩) الكشاف ١/ ٢٣٢.

للمشكلات»(۱).

بينما فسر الواحدي النور بأنه بيان صدق محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: 

﴿ وَنُورٌ ﴾ بيانٌ إنّ أمرك حقً » (٢).

وقال تعالى أيضًا: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ ٱلْكِتَنَبَ الَّذِى جَأَةَ بِهِم مُوسَىٰ ثُورًا وَهُدَى لِلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].

قال ابن كثير: «إن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نورًا وهدى للناس، أي: ليستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدى بها من ظلم الشبهات»(٣).

وقد فرّق ابن عادل بين النور والهدى فقال: وصف الكتاب بقوله: ﴿ وُورًا تَشبيهًا له منصوبٌ على الحال، وسمّاه نورًا تشبيهًا له بالنّور الذي يبين به الطريق، فإن قيل: فعلى هذا لا يبقى بين كونه نورًا، وبين كونه هدّى للناس فرقٌ، فعطف أحدهما على الآخر يوجب التّغاير؛ فالجواب: أن للنور صفتين: أحدهما: كونه في نفسه ظاهرًا جليًّا، والثانية: كونه بحيث يكون سببًا لظهور غيره، فالمراد من كونه ﴿ وُرًا وَهُدَى ﴾ هو هذان الأمران (٤). من كونه ﴿ وَقَانَ.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنْبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَمَلَّكُمْ نَهْتَدُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ وَهَ ١٠٤].

- (١) زاد المسير ١/ ٥٥١.
- (۲) الوجيز، الواحدي، ص ۳۲۰.
- (٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٠٠.
- (٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب ٨/ ٢٧٩.

قال الطبري: «ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان، يعني به: الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، وذلك هو التوراة في قول بعضهم»(٥).

ولقد اعتبر الثعلبي التوراة والفرقان شيئًا واحدًا، فقال: «قال مجاهد والفراء: هما شيء واحد، والعرب تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه على التوهم»(").

ويؤيد هذا الرأي قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَنْرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيلَةً وَذَكُرًا لِلْمُنَّقِينَ ﴿ الْأَنبِياء: ٤٨].

ويقول الزمخشري: «الكتاب والفرقان يعنى الجامع بين كونه كتابًا منزلًا، وفرقانًا يفرق بين الحق والباطل: يعنى التوراة، كقولك: رأيت الغيث والليث، تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة»(٧).

ولقد فصل ابن عطية القول في ذلك وذكر أقوالًا، فقال: «والكتاب: هو التوراة بإجماع من المتأولين، واختلف في الفرقان هنا؛ فقال الزجاج وغيره: هو التوراة أيضًا، كرر المعنى لاختلاف اللفظ، ولأنه زاد معنى التفرقة بين الحق والباطل، ولفظة الكتاب لا تعطى ذلك.

وقال آخرون: الكتاب: التوراة، والفرقان سائر الآيات التي أوتي موسى عليه السلام،

- (٥) جامع البيان ١٨/ ٢٥٢.
- (٦) الكشف والبيان ١/ ١٩٦.
  - (۷) الكشاف ۱/ ۱٤٠.

لأنها فرقت بين الحق والباطل.

وقال آخرون: الفرقان: النصر الذي فرق بين حالهم وحال آل فرعون بالنجاة والغرق»(١).

#### ٤. ضياء.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَاتِيْنَا مُوسَىٰ وَهَلَرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيلَا وَذِكْلَ لِلْمُنْقِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ [الأنساء: ٨٤].

قال الزمخشري: أنه في نفسه ضياء، أو وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ

وفي زاد المسير: «والمعنى: أنهم استضاءوا بالتوراة حتى اهتدوا بها في دینهم»<sup>(۳)</sup>.

قال النسفى: «قيل: هذه الثلاثة هي التوراة، فهي فرقان بين الحق والباطل، وضياء يستضاء به، ويتوصل به إلى السبيل النجاة، وذكر: أي شرف أو وعظ وتنبيه، أو ذكر ما يحتاج الناس إليه في مصالح وشرفًا»(٩). دينهم»<sup>(٤)</sup>.

> ويؤكد البيضاوي هذا المعنى فيقول: «وضياءً يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة»(٥).

ويقول البقاعي: «وضياء لا ظلام معه، فلا ظلم للمستبصر به، لأن من شأن من كان في الضياء أن لا يضع شيئًا إلا في موضعه» (١٠).

ويقول سيد قطب: «وجعل التوراة كذلك، ضياء يكشف ظلمات القلب والعقيدة، وظلمات الضلال والباطل، وهي ظلمات يتوه فيها العقل ويضل فيها الضمير، وإن القلب البشرى ليظل مظلمًا حتى تشرق فيه شعلة الإيمان، فتنير جوانبه، ويتكشف له منهجه، ويستقيم له اتجاهه، ولا تختلط عليه القيم والمعاني والتقديرات»(٧).

٥. ذكر.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَلَرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَّاهُ وَذِكْرًا لِلْمُنْقِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللّلْمُلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

[الأنساء: ٨٤].

«والذَّكر: بمعنى قال الثعالبي: التذكرة (١٨).

أما البقاعي فقال: «وذكرًا: أي وعظًا

قال النسفي: «وذكر: أي شرف، أو وعظ، وتنبيه، أو ذكر ما يحتاج الناس إليه في مصالح دينهم» (۱۰).

وقال أبو السعود: «وذكرًا: يتعظ به

<sup>(</sup>٦) نظم الدرر ۱۲/ ٤٣١.

<sup>(</sup>V) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٨٤.

<sup>(</sup>٨) التجواهر الحسان ٤/ ٨٩.

<sup>(</sup>٩) نظم الدرر، البقاعي ١٢/ ٤٣١.

<sup>(</sup>١٠) مدارك التنزيل ٢/ ٤٠٧.

<sup>(</sup>١) المحرر الوجيز ١/ ١٤٤.

<sup>(</sup>٢) انظر: الكشاف ٣/ ١٢١.

<sup>(</sup>٣) زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ١٩٣.

<sup>(</sup>٤) مدارك التنزيل ٢/ ٤٠٧.

<sup>(</sup>٥) أنوار التنزيل ٤/ ٥٣.

الناس، وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضيئون بأنواره، المغتنمون لمغانم آثاره، أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع والأحكام»(۱).

ويقول سيد قطب: «وجعل التوراة كالقرآن ﴿وَوَكُلِلْكُنَّقِينَ ﴾، تذكرهم بالله، وتبقي لهم ذكرًا في الناس، وماذا كان بنو إسرائيل قبل التوراة؟ كانوا أذلاء تحت سياط فرعون، يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ويستذلهم بالسخرة والإيذاء»(٢).

وجاء ذلك في عدة آيات.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّةَ مَانَيْنَا مُوسَى ٱلْكِئنَبَ ثَمَامًا عَلَى ٱلَّذِى آَحْسَنَ وَتَقْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِمَلَّهُم بِلِقَلَورَيِهِمْ ثُوَمِثُونَ ﴿ ثَالَهُمْ [الأنعام:١٥٤].

قال الطبري: «ورحمة لمن كان منهم ضالًا لينجيه الله به من الضلالة»<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بِيِّنَةِ مِّن زَّيِهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدُّ مِّنْهُ وَمِن قَبِّلِهِ، كِنْبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [هود: ١٧].

وجاءت أيضًا في الأحقاف: ﴿ وَمِن مَبْلِهِ عَلَيْهِ مَا مَا مَا مَا مَا وَرَحْمَةً ﴾ [الأحقاف: ١٢].

يقول ابن عاشور: «والرحمة: اسم مصدر لصفة الراحم، وهي من صفات

- (١) إرشاد العقل السليم ٦/ ٧١.
- (٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٨٤.
  - (٣) جامع البيان ١٦/ ٢٣٨.

الإنسان، فهي: رقة في النفس، تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه، ووصف الكتاب بها استعارة لكونه سببًا في نفع المتبعين؛ لما تضمنه من أسباب الخير في الدنيا والآخرة، وصف الكتاب بالمصدر مبالغة في الاستعارة»(٤).

قال تعالى في سورة القصص أيضًا: ﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا مُومَى الْكِتَنَبِ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكُنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَكَآبِرَ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ اللَّهُ ﴿ لِلنَّاسِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ اللَّهُ ﴿ لَا لَقُصَص: ٤٤].

قال الزمخشري: «ورحمةً: لأنهم لو عملوا بها وصلوا إلى نيل الرحمة»(٥).

قال البقاعي: «ورحمة: أي نعمة هنية شريفة، لأنها قائدة إليها» (٢٠).

<sup>(</sup>٤) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٤.

<sup>(</sup>٥) الكشاف ٣/ ٤١٧.

<sup>(</sup>٦) نظم الدرر ۱٤/ ٣٠٢.

### الأحكام التشريعية في التوراة

لقد جاءت التوراة بالدرجة الأولى لتكون منهج حياة لبني إسرائيل، وإلى جانب ذلك جاءت لتهيئ الناس لمجيئ النبي الأمي، وتهيئ عقولهم لتقبل شريعته، ولأن هذا النبي سيكون نبيًّا لجميع الأمم، جعلها شريعة عامة؛ ليسهل على الأمم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وكان بنو إسرائيل شهداء بين أهل دينهم، يثقون بهم، يشهدون بمجيئ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ يَتَأَهُّلَ ٱلْكِئْبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوجًا وَأَنتُمْ شُهَدَدَآةً وَمَا اللهُ بِعَنفِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ اللهُ [آل عمران:٩٩](١).

قال الرازي: أنتم شهداء أن في التوراة موجود: أن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام، وأنتم شهداء على ظهور المعجزات على نبوته صلى الله عليه

لذا فقد جاء الأمر لبني إسرائيل بأن يأخذوا الكتاب بقوة؛ ذلك الكتاب الذي تضمن أحكامًا تشريعية، منها ما نسخ، ومنها ما استمر بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن بني إسرائيل لم يعملوا بتلك

الشرائع، ولو عملوا بها لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وفيما يلي تفصيل ذلك:

## أولًا: حكمة الأمر بأخذ التوراة بقوة:

لقد أمر الله بني إسرائيل بأخذ التوراة وما فيها بقوة، وذلك في آيات عدة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنْقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلُّكُمْ تَنَقُونَ اللهِ [البقرة: ٦٣].

قال الطبري: «خذوا ما افترضناه عليكم في كتابنا من الفرائض، فاقبلوه، واعملوا باجتهاد منكم في أدائه، من غير تقصير ولا توان»<sup>(۳)</sup>.

وبعد أخذ الميثاق عليهم بقوة ورفع الجبل فوق رؤوسهم نكثوا العهود والمواثيق كعادتهم، بل وتبجحوا في ذلك الأمر، وأقروا بالعصيان، وعبدوا العجل كفرًا وجورًا؛ فكيف يتصور الإيمان من أخلافهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنَقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلظُّورَ خُدُواْمَا ءَاتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا أَ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرِيُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْمِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِلْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانَكُمْ إِن كُنشُر مُؤْمِنِينَ 🐨 🌢 [البقرة: ٩٣].

جاء في روح البيان: «قالوا سمعنا قولك،

<sup>(</sup>١) انظر: شرح الأحكام التشريعية في التوراة، نادي فرج درويش العطار، ١/٦.

<sup>(</sup>٢) انظر: مفاتيح الغيب ٨/ ٣٠٨.

<sup>(</sup>٣) جامع البيان ٢/ ١٦١.

ولكن لا سماع طاعة، وعصينا أمرك ولولا مخافة الجبل ما قبلنا في الظاهر، فإذا كان حال أسلافهم هكذا، فكيف يتصور من أخلافهم الإيمان»(١).

ولا شك أن ديننا الحنيف يختلف في هذا الأمر حيث لا يعتمد على الإكراه والتخويف، رغم كونه مرغبًا ومرهبًا.

قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلَّذِينِ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال الرازى: «أن إظلال الجبل لا شك أنه من أعظم المخوفات، ومع ذلك فقد أصروا على كفرهم، وصرحوا بقولهم: سمعنا وعصينا وهذا يدل على أن التخويف وإن عظم لا يوجب الانقياد»(٢).

وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَكَتَبَّنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاجِ مِن كُلِ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَقْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذُهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا مَسْأُورِيكُو دَارَ ٱلْفَنْسِقِينَ اللهُ [الأعراف:١٤٥].

يفصل المراغي الأخذ بقوة فيقول: وقلنا له: هذه وصايانا وأصول شريعتنا وكلياتها، فخذها بقوة وجدّ وعزم، ذاك أنك ستكون بها شعبًا جديدًا، بعادات جديدة، وأخلاق جديدة، مخالفة في جوهرها

وصفاتها لما كان عليه من الذل والعبودية لدى فرعون وقومه، وماكان عليه من الشرك والوثنية التي ألفها وراضت نفسه لقبولها، فأتى للقائد والمرشد أن يصلح ذلك الفساد، ويرأب ذلك الصدع إذا لم يكن ذا عزيمة وقوة وبأس شديد وحزم في أوامره

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَنَقَنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأْنَهُ، ظُلَّةٌ وَظُنْوًا أَنَّهُ، وَإِقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَكُم بِقُوَّةِ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ نَنْقُونَ ﴿ ﴿ ﴾ [الأعراف: ١٧١].

ونو اهيه»<sup>(٣)</sup>.

وكثرة الآيات تدلل بصورة واضحة جلية، طبيعة بنى إسرائيل الملتوية، ونفسيتهم المريضة؛ فقد عرضت عليهم التوراة فرفضوا أخذها؛ فرفع الله الجبل فوق رؤوسهم كأنه ظلة، وأمرهم بأخذ الكتاب بقوة، ويقول محمد رشيد رضا: «لعل حكمة ختم قصة بني إسرائيل بهذه الآية هنا للتذكير ببدء حالهم في إنزال الكتاب عليهم في أثر بيان عاقبة أمرهم في مخالفته والخروج عنه ا فإن في تلك الفاتحة إشارة إلى هذه الخاتمة، وذلك عندما أخذ عليهم الميثاق ليأخذن بالشريعة بقوة وعزم، فإنه رفع فوقهم الطور، وأوقع في قلوبهم الرعب من خوف وقوعه بهم، فلا غرو إذا آل أمرهم إلى ترك العمل به بعد طول الأمد وقساوة القلوب والأنس



<sup>(</sup>٣) تفسير المراغي ٩/ ٦١.

 <sup>(</sup>۱) روح البيان، إسماعيل حقي ۱/ ۱۸۲.
 (۲) مفاتيح الغيب ۳/ ۲۰۶.

بالذنوب<sup>(۱)</sup>.

ثانيًا: الأحكام التشريعية في التوراة:

إن التوراة كتاب الله أنزله على نبيه موسى ليحكم بين الناس، فهو كتاب إلهي يحتوى على تشريعات ربانية، وقد ذكر لنا القرآن الكريم بعضًا منها في الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنِي بَنَّ إِسْرَوْمِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَيِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْنَىٰ وَٱلْبَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ الزَّكَوْهَ ثُمَّ تَوَلِّينُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُه مُعْرِضُونِ الله وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِن دِيكرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنشُر تَشْهَدُونَ ﴿ [القرة: ٨٤ – ٨٤].

فهذا الميثاق تضمن عدة تشريعات: التوحيد بأنواعه؛ ﴿ لا نَعْبُدُونَ إِلَّا أَللَّهُ ﴾. بر الوالدين والإحسان إليهما؛ ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إحسانًا ﴾.

صلة الأرحام والإحسان إليهم؛ ﴿وَذِي ٱلْقُرْيَنَ ﴾.

كفالة اليتيم والإحسان إليه؛ ﴿وَٱلْمِتَنِينَ ﴾.

التكافل بين الناس والإحسان إلى الضعفاء؛ ﴿وَٱلْمَسَاكِينِ ﴾.

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ ﴿ وَقُولُو اللَّا إِس حُسْمًا ﴾.

إقامة الصلاة؛ ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّكَاوَةَ ﴾. إيتاء الزكاة؛ ﴿وَمَاثُواْ ٱلزَّكَوْةَ ﴾.

حفظ النفس، وتحريم سفك الدماء، 🎶 تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾.

عدم إخراج الناس من ديارهم والاعتداء على ممتلكاتهم؛ ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِن دِيَارِكُمْ ﴾.

وفي آية ثانية، تشريعات أخرى؛ قال لِلنَّاسِ خُسَّنًا وَأَقِهِمُوا ٱلصَّكَاؤَةَ وَمَاثُوا تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَكَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَةِ مِيلَ وَبَعَثْ نَا مِنْهُمُ ٱثْنَىٰ عَشَرَ نَقِيبُا وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمٌّ لَيِنَ أَقَمْتُمُ ٱلصَّكَاوَةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَاوَةَ وَءَامَنَتُم بُرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضَتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [المائدة: ١٢].

🟶 الإيمان بالرسل، ونصرتهم؛ ﴿ وَءَامَنتُم بُرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُم ﴾.

ايتاء الصدقات؛ ﴿ وَأَقْرَضْ ثُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾.

قال سيد قطب: ندرك أن ميثاق الله مع بنى إسرائيل، ذلك الميثاق الذي أخذه عليهم في ظل الجبل، والذي أمروا أن يأخذوه بقوة وأن يذكروا ما فيه، أن ذلك الميثاق قد تضمن القواعد الثابتة لدين الله، هذه القواعد التي جاء بها الإسلام أيضًا، فتنكروا لها وأنكروها.

<sup>(</sup>١) المنار ٩/ ٣٢٤.

لقد تضمن ميثاق الله معهم: ألا يعبدوا إلا الله، القاعدة الأولى للتوحيد المطلق، وتضمن الإحسان إلى الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين، وتضمن خطاب الناس بالحسنى، وفي أولها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك تضمن فريضة الصلاة، وفريضة الزكاة، وهذه في مجموعها هي قواعد الإسلام وتكاليفه (۱).

وهذه التكاليف قد أقرتها بنو إسرائيل: قال الرازي: «ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه، وأنتم تشهدون عليها»(۲).

# ثالثًا: أثر عمل اليهود بالتوراة في زمانهم:

اشتملت الكتب السماوية على كل ما يصلح أحوال الناس في دنياهم وأخراهم، وما التزم قوم بما أنزل الله عليهم وأقاموا شرع الله فيهم إلا كانوا أسعد الناس في دنياهم وأخراهم، وينطبق هذا الأمر على جميع الشرائع السماوية.

ونلمس هذا الأمر في القرآن الكريم فقد جاء في حق بني إسرائيل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَنبِ مَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرَنَا عَنْهُمْ سَيَّاتِهِمْ وَلَاَّدْخَلْنَهُمْ جَنَّتِ التَّعِيمِ ﴿ اللَّهُ مَا أَنْزِلَ إِلَيْهِم وَلَوْ أَنْهُمْ جَنَّتِ التَّعِيمِ ﴿ اللَّهُ وَلَوْ أَنْهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَكَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم وَلَوْ أَنْهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَكَة وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم

- (١) انظر: في ظلال القرآن ١/ ٨٧.
  - (٢) مفاتيح آلغيب ٣/ ٩٩٥.

مِّن زَّيِهِمْ لَأَكُلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَنَّهُ لِهِمْ مِنْهُمْ أَمَّةٌ مُُقْتَصِدَةً فَي كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَلَهُ مَا يَعْمَلُونَ (المائدة: ٢٥-٦٦].

يقول سيد قطب: إن هاتين الآيتين تقرران أصلًا كبيرًا من أصول التصور الإسلامي، ومن ثم فهما تمثلان حقيقة ضخمة في الحياة الإنسانية....إن الله سبحانه يقول لأهل الكتاب- ويصدق القول وينطبق على كل أهل كتاب- إنهم لو كانوا آمنوا واتقوا لكفر عنهم سيئاتهم، ولأدخلهم جنات النعيم- وهذا جزاء الآخرة، وإنهم لو كانوا حققوا في حياتهم الدنيا منهج الله الممثل في التوراة والإنجيل، وما أنزله الله إليهم من التعاليم- كما أنزلها الله بدون تحريف ولا تبديل- لصلحت حياتهم الدنيا، ونمت وفاضت عليهم الأرزاق، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فيض الرزق، ووفرة الإنتاج وحسن التوزيع، وصلاح أمر الحياة، ولكنهم لا يؤمنون ولا يتّقون، ولا يقيمون منهج الله- إلا قلة منهم في تاريخهم الطويل مقتصدة غير مسرفة على نفسها ﴿وَكِثِيرٌ مِنْهُمْ سَلَّةُ مَا يَعْمَلُونَ ﴾

وهكذا يبدو من خلال الآيتين: أن الإيمان والتقوى وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا، لا يكفل لأصحابه جزاء الآخرة وحده وإن كان هو المقدم وهو الأدوم – ولكنه كذلك

يكفل صلاح أمر الدنيا، ويحقق لأصحابه جزاء العاجلة.. وفرة ونماء وحسن توزيع وكفاية.. يرسمها في صورة حسية تجسم معنى الوفرة والفيض في قوله: ﴿لَأَكُلُوا مِن فَوْقِهِدٌ وَمِن تَمِّتِ أَرْجُلِهِم ﴾ (١).

قال ابن عاشور: «وقد أومأت الآية إلى أن سبب ضيق معاش اليهود هو من غضب الله تعالى عليهم؛ الإضاعتهم التوراة، وكفرهم بالإنجيل وبالقرآن»(٢).

وفي موضع آخريبين سيد قطب أن هناك قاعدة مطردة، فيقول: «وهذه القاعدة التي يقررها القرآن في مواضع متفرقة، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله، ومن سنة الحياة، كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون، والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد. وما من أمة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاها حقيقيًا لله بالعمل الصالح، والاستغفار المنبئ عن خشية الله.. ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته، فحققت العدل والأمن للناس جميعًا، إلا فاضت فيها الخيرات، ومكن الله لها في الأرض، واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح والمواه.".

### الربانيون والأحبار وحفظ التوراة

ميّز الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم عن سائر الكتب بأن تعهد بحفظه.

قال تعال: ﴿ إِنَّا نَحَنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ الْحَجْرِ: ٩]؛ فالقرآن وحده هو الذي تعهد الله بحفظه، أما التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة، فقد أوكل الله حفظها إلى أهلها من الأحبار والرهبان والربانيين، ولم يتكفل بحفظها، ولما ترك حفظها لهم صار حالها إلى ما صارت إليه، من التغيير والتبديل والتحريف، وفيما يلي تفصيل ذلك:

## أولًا: تكليف الله للربانيين والأحبار بحفظ التوراة والعمل بها:

لقد كلّف الله الربانيين والأحبار حفظ التوراة، فقال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرَنِةَ فِيهَا هُدَى وَنُورُ أَي مَكُمُ مِهَا ٱلنَّبِيتُونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَٱلرّبَّنِيتُونَ وَٱلأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحفِظُوا مِن كِنْكِ ٱللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ مِن كِنْكِ ٱللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال الرازي: «دلت الآية على أنه يحكم بالتوراة: النبيون والربانيون والأحبار، وهذا يقتضي كون الربانيين أعلى حالا من الأحبار، فثبت أن يكون الربانيون كالمجتهدين، والأحبار كآحاد العلماء، ثم قال: ﴿ يِمَا اُسْتُحْفِظُوا مِن كِنْكِ اللّهِ ﴾

<sup>(</sup>١) في ظلال القرآن ٢/ ٩٣١.

<sup>(</sup>۲) التَّحرير والتنوير ٦/ ٢٥٣.

<sup>(</sup>٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧١٣.

أي: حفظ كتاب الله على وجهين: الأول: أن يحفظ فلا ينسى، الثاني: أن يحفظ فلا يضيع، وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين: أحدهما: أن يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بألسنتهم، والثاني: أن لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه»(١).

وقال ابن عاشور: «والاستحفاظ: الاستثمان، واستحفاظ الكتاب: أمانة فهمه حق الفهم بما دلت عليه آياته، استعير الاستحفاظ الذي هو طلب الحفظ لمعنى الأمر بإجادة الفهم، والتبليغ للأمة على ما هو عليه»(٢).

ولقد كلف الله اليهود أحبارًا وشعبًا بحفظ التوراة والعمل بها فضيعوها.

قال الثعالبي: «وقوله سبحانه: ﴿ يَمَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ إِياهُم أمر التّوراة، وأخذه العهد عليهم في العمل والقول بها، وعرّفهم ما فيها، فصاروا شهداء عليه، وهؤلاء ضيّعوا لمّا استحفظوا حتى تبدّلت التوراة (٣٠٠).

ولقد استخلف الله الأحبار والرهبان لحفظ وتبليغ التوراة وإجراء أحكامها عليهم.

قال أبو السعود: ﴿ ﴿ بِمَا اُسْتُحْفِظُوا ﴾ ، أي: بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو

(٣) الجواهر الحسان ٢/ ٣٨٥.

التوراة، حيث سألوهم أن يحفظوها من التغيير والتبديل على الإطلاق. ولا ريب في أن ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في إجراء أحكامها من غير إخلال بشيء منها»(٤).

## ثانيًا: ذم القرآن للربانيين والأحبار لعدم حفظهم التوراة:

ولقد ذمّ الله الربانيين والأحبار الذين استحفظهم التوراة فضيّعوها ولم يطبقوا أحكامها، ووصفهم وصفًا شنيعًا.

قال تعالى: ﴿ مَثُلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا النَّوْرِينَةُ ثُمُّ لَمْ يَعْمِلُ النَّوْرِينَةُ ثُمُّ لَمْ يَعْمِلُ السَفَارَأُ بِلْسَ لَمْ يَعْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَعْمِلُ السَفَارَأُ بِلْسَ مَثَلُ الْقَرْمِ الَّذِينَ كَذَبُواْ بِعَاينتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّلِامِينَ الْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

قال الطبري: «مثل الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى، فحملوا العمل بها ثم لم يعملوا بما فيها، وكذّبوا بمحمد صلّى الله عليه وسلّم، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به؛ كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبًا من كتب العلم، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد صلّى الله عليه وسلّم مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار الذي يحمل أسفارًا فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها» (٥).

<sup>(</sup>۱) مفاتيح الغيب ۲۱/ ٣٦٦.

<sup>(</sup>۲) التحرير والتنوير ۲/ ۲۰۹.

<sup>(</sup>٤) إرشاد العقل السليم ٣/ ٤١.

<sup>(</sup>٥) جامع البيان ٢٣/ ٣٧٧.

قال الزمخشري: «شبه اليهود- في أنهم حملة التوراة وقرّاؤها وحفاظ ما فيها، ثم إنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها، وذلك أنّ فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا بهبالحمار حمل أسفارًا، أي: كتبًا كبارًا من كتب العلم، فهو يمشى بها ولا يدرى منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب، وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله، وبئس المثل الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، ومعنى نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، ومعنى لم يحملوها، ثم لم يعملوا بها، فكأنهم لم يحملوها، ثم لم يعملوا بها، فكأنهم لم يحملوها» (۱).

ويقول سيد قطب في تفسيرها: «فبنو إسرائيل حملوا التوراة، وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة ثم لم يحملوها؛ فحملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه، وينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وعالم الواقع. ولكن سيرة بني إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم – وكما هي في حقيقتها - لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة، ولا أنهم فقهوا حقيقتها، ولا أنهم عملوا بها، ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام، وليس له منها إلا ثقلها، فهو ليس صاحبها،

وليس شريكًا في الغاية منها، وهي صورة زرية بائسة، ولكنها صورة معبرة عن حقيقة صادقة»(٢).

لم يكتف الأحبار والرهبان بتضييع التوراة، وعدم حفظها والعمل بها، وهذه في حد ذاتها جريمة، لكنهم اقترفوا جريمة أعظم؛ ذلك أن بدلوها وحرفوها واعتدوا على كلام الله، فبدلوه بما يناسب مآربهم، ويخدم مصالحهم، وكتبوها بأيدهم، ومزجوها بكلامهم، ثم قالوا هي من عند الله، وأصبح هناك توراتان: توراة أنزلها الله وأمرهم بحفظها وعدم تضييعها، وهي ما يسمى بالعهد القديم الذي نزل على موسى، وتوراة محرفة كتبها الأحبار والرهبان بأيدهم، وأسموها ظلمًا وزورًا (العهد القديم).

# أولًا: تحريف اليهود للتوراة المنزلة على موسى:

أخبرنا الله في ست آيات صريحة عن تحريف التوراة بأيدي هؤلاء الأحبار والرهبان، وقد توعدهم الله بالويل والطرد من رحمة الله.

قال تعالى: ﴿ اللهِ أَفَظَمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّقُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ

<sup>(</sup>۲) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٦٧.

<sup>(</sup>۱) الكشاف ٤/ ٥٣٠.

### 🐠 [البقرة: ٧٥].

قال الطبري: «التوراة التي أنزلها عليهم، يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حرامًا، والحرام فيها حلالًا والحق فيها باطلًا والباطل فيها حقًّا، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب، فهو فيه محق. وإن جاء أحد يسألهم شيئًا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء، أمروه بالحق»(١).

﴿ مِن ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَع وَرَعِنَا لَيًّا بِٱلْسِنَئِمِ وَطَعْنَا فِي ٱلدِّينِّ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِمْنَا وَأَطَمَّنَا وَأَسْمَعَ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لْمُتُمَّ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَّهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِم فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قليلا ( النساء: ٤٦].

قال الزمخشري: «يحرّفون الكلم عن مواضعه: يميلونه عنها ويزيلونه؛ لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلمًا غيره، فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعها الله فيها، وأزالوه عنها»<sup>(۲)</sup>.

وقال ابن الجوزي: «وفي معنى تحريفهم الكلم قولان:أحدهما:أنهم كانوا يسألون النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن الشيء، فإذا خرجوا، حرفوا كلامه، قاله ابن عباس. والثاني: أنه تبديلهم التوراة، قاله مجاهد»(٣).

- (۱) جامع البيان ۲/ ۲٤٦.(۲) الكشاف ۱/ ٥١٦.
- (٣) زاد المسير ١/ ٤١٦.

وقال تعالى: ﴿ فَيِمَا نَقْضِهِم مِّيثَنَّقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحْرِقُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ. وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُواْ بِدِّ- وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآبِنَةِ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ الله ﴿ [المائدة: ١٣].

قال السمعاني: «تحريفهم الكلم: هو تبديلهم نعت الرسول، وقيل المراد به:تحريفهم بسوء التأويل»(٤).

وقال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُ ۚ الرَّسُولُ لَا يَحَرُّنكَ ٱلَّذِينَ يُسَكِرِعُونَ فِي ٱلْكُفِّرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِأَفْوَهِهِمْ وَلَدَ تُؤْمِن قُلُوبُهُمُّ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّنْعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّنعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَدَ يَأْتُولُو يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِدَ مِنْ بَعْدِ مُوَاضِعِدِ، ﴿ [المائدة: ٤١].

قال أبو حيان: «أي: يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التي وضعها الله فيها. قال ابن عباس والجمهور: هي حدود الله في التوراة، وذلك أنهم غيروا الرجم، أي:وضعوا الجلد مكان الرجم، وقال الحسن: يغيرون ما يسمعون من الرسول عليه السلام بالكذب عليه، وقيل: بإخفاء صفة الرسول، وقيل: بإسقاط القود بعد استحقاقه. وقيل: بسوء التأويل»(٥).

### ثانيًا: واجب المسلمين تجاه التوراة

- (٤) تفسير القرآن، السمعاني ٢/ ٢٢.
  - (٥) البحر المحيط ٤/ ٣٦١.

## المنزلة والتوراة المحرفة:

المسلم يؤمن بأن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام حق من عند الله تعالى، وقد اشتملا على الأحكام والمواعظ والأخبار، التي فيها هدي ونور للناس في معاشهم وحياتهم وآخرتهم، كما يعتقد المسلم أن التوراة والإنجيل أنزلا من عند الله، ولكن شابهما الكثير من التحريف والتبديل، ولا نصدق منها إلا ما وافق القرآن و السنة.

وقد أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم أن أهل الكتاب من اليهود والنصاري قد حرّفوا كتبهم، وأضافوا إليها وأنقصوا منها، فلم تبق كما أنزلها الله تعالى.

فالتوراة الموجودة الآن ليست هي التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، لأن اليهود حرفوا وبدّلوا، وتلاعبوا بكثير من أحكامها.

قال تعالى: ﴿ يَن الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ع ﴿ [النساء: ٤٦].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن بنى إسرائيل كتبوا كتابًا فتبعوه وتركوا التوراة)(١).

وقد استقر هذا المعنى في نفوس

الصحابة والمؤمنين بعدهم.

يقول ابن عباس: (يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله، تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا:هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلًا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم)<sup>(۲)</sup>.

ولا يمنع هذا من صحة بعض مواضع في التوراة، لما فيها من آثار الأنبياء؛ ففي التوراة حق وباطل كما أخبر الله ورسوله، ومن النصوص التي اشارت إلى شيء من الحق في كتبهم ألبسوه الباطل والزور قوله تعالى: ﴿ يَتَأَهَّلَ ٱلْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَكُولِ وَتَكُنُّمُونَ ٱلْحَقِّ وَأَنتُمْ تَمَكُّمُونَ ١١٥٠ ١٠ [آل عمران:٧١].

وقوله تعالى: ﴿ وَكُيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَيْةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتُوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَالِكُ وَمَا أُوْلَتِهِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ اللهُ [المائدة: ٤٣].

وفي صحيح البخاري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تصدقوا أهل

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، بابُ لا يسأل أهلُ الشرك عن الشهادة وغيرها، رقم ٢٦٨٥، ٣/ ١٨١.

<sup>(</sup>١) أخرجه الدارمي في سننه، باب من لم ير كتابة الحديث، رقم ١٣٥، ١/ ١٣٥.

الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ فُولُواْ مَا أَنْزِلَ إِنَّ إِبْرَهِمَ وَاللَّهُ إِنَّا إِنَّ إِنْرَهِمَ اللَّهُ وَمَا أَنْزِلَ إِنَّ إِنْرَهِمَ وَاللَّهُ الْمُنْكَا بِاللَّهِ وَمَا أُونِيَ وَإِللَّا شَبَاطِ وَمَا أُونِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُونِيَ النَّبِيُّونَ مِن دّيَهِمْ لَا مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُونِيَ النَّبِيُّونَ مِن دّيَهِمْ لَا نُعْرِقُ بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

وقد بينت الآيات موقف المسلمين من التوراة بجلاء ووضوح، إذ يخبرنا الله أنها وحيٌ منه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوَرَنةَ فِيهَا هُدَى وَثُورٌ ﴾ [المائدة:٤٤].

ولكن الناس قد توارثت كتبًا بديلة عن التوراة نسبت إلى الله، لكنها خالية -إلا قليلًا- من الهدى والنور، فقد حملت هذه الأسفار في طياتها ضعف البشر وجهلهم، فجاءت متناقضة، مليئة بالكثير مما لا يرضي العقلاء نسبته إلى الله ووحيه القويم.

ومما يثبت أن هذه الأسفار ليست توراة موسى عليه السلام، أن القرآن الكريم نسب إلى أسفار موسى من المعاني التي نفتقدها في النصوص الحالية للتوراة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ الشَّرَىٰ مِنَ المُؤْمِنِينَ النَّهُمُ وَأَمْوَلُهُم بِأَنَ لَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ النَّهُ الشَّرَىٰ مِنَ المُعَلِينَ اللهِ فَيَقَنْلُونَ اللَّهِ اللهِ فَيَقَنْلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقَنْلُونَ وَمُعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي النَّورَانِةِ وَالْمُؤْمِنِينَ اللهِ فَيَقَنْلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقَنْلُونَ وَعُدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي النَّورَانِةِ وَلَيْقَالُونَ التَّورَانِةِ وَلَيْقَالُونَ فَي سَبِيلِ اللهِ فَيَقَنْلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقَنْلُونَ وَعُدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي النَّورَانِةِ وَلَيْهِ وَلَيْدَ وَلَيْهِ وَمُقَالِقُونَ النَّورَانِةِ وَلَيْهِ وَلَيْهِ وَلَالِهُ اللهِ فَيَقَنْلُونَ فَي سَبِيلِ اللهِ فَيَقَنْلُونَ النَّورَانِيةِ وَلَهُ اللهِ اللهِ فَيَقَنْلُونَ اللهِ وَلَيْدَا عَلَيْهِ حَقًا فِي النَّورَانِيةِ وَلَيْهِ وَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهِ حَقًا فِي النَّورَانِيةِ وَلَا عَلَيْهِ وَقَدًا عَلَيْهِ وَقَالًا فَي اللهِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

(۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (قولوا آمنا بالله)، رقم ٤٤٨٥، ٢٠ /٠

## وَ الْإِنْجِيلِ وَالْقُسْرَ الِنِ ﴾ [التوبة: ١١١].

ولا وجود لهذا المعنى في العهد القديم ولا الجديد، ومثله قوله تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوْةَ اللَّهُ نِيَا اللَّهِ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى اللَّهُ إِنَّ الْحَيَوْةَ اللَّهُ نِيَا اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّا عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَى الللّهُ عَل

فهذا المعنى لا وجود له في صحف الأسفار المنسوبة لموسى، والتي تخلو من الحديث عن الآخرة والقيامة (٢).

وللتوراة أسماء كثيرة قد وضعها حاخامات اليهود؛ فتعرف بالعهد القديم، وهو مصطلح يستخدمه المسيحيون للإشارة إلى كتاب اليهود المقدس، بينما يستخدم مصطلح (العهد الجديد) للإشارة إلى الأسفار التي تضمنتها الأناجيل الأربعة، وأما اليهود فيستخدمون عبارة (الكتب المقدسة)، وأحيانًا (الكتب)، وأحيانًا (التوراة) للتعبير عن العهد القديم (٣).

فالعهد القديم هو الكتاب الذي يضم ثلاثة أشياء: التوراة، والأنبياء، والمكتوبات. والجزء الأول هو الذي نزل على موسى عليه السلام، وقد حرّفوه، أما الجزءان الآخران فهما صناعة بشرية خالصة (٤).

<sup>(</sup>٢) انظر: هل العهد القديم كلمة الله، منقذ السقار، ص١٥.

 <sup>(</sup>٣) انظر: الخطأ والدخيل في توراة بني إسرائيل،
 إبراهيم ثروت حداد، ص١٧.

<sup>(</sup>٤) انظر: مدخل إلى تاريخ اللغة الآرامية، أحمد

فالتوراة والتي هي كتب موسى تطلق عندهم على الأسفار الخمسة: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد(۱).

وعليه: فنحن نؤمن بتوراة موسى كل الإيمان، ونؤمن بأنها حرفت ولم تحفظ، وأن القوم أخفوا منها شيئًا وكتبوا أشياء، وضاع منها الكثير، وما بين يديهم لا يخلو من بعض الحق، وعلى المسلم أن يحترمها ولا يهينها ولا يدنسها؛ لأنها قد تحتوي في طياتها على شيء من بقايا كلام الله الذي لم يحرف.

# ثالثًا: واجب المسلمين تجاه الإسرائيليات:

تنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة، وهي ما يأتي:

القسم الأول: ما يعلم صحته؛ بأن نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلًا صحيحًا، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخضر، فقد جاء هذا الاسم صريحًا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند البخاري؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه

خضراء)(٢)، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده. وهذا القسم صحيح مقبول.

القسم الثاني: ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا

هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به ولا نكذّبه، وتجوز حكايته، لما تقدّم من قوله صلى الله عليه وسلم: في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: فَاسَمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَمْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُولِيَ إِبْرَهِمَ لَوَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُولِيَ النِّيدُوبَ مِن رّبِهِمَ لا مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِي النّبِيدُوبَ مِن رّبِهِمَ لا مُؤْسَىٰ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْهُمْ وَعَمْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ اللهِ عَلَيْهِ وَمَا اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْهُ وَمَا أُوتِي اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْسَالِهُ وَمَا أُوتِي اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافًا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب

[القرة: ١٣٦]<sup>(٣)</sup>.

الجمل، ص١٣.

<sup>(</sup>١) انظر: حجية التوراة، أحمد الحوفي، ١٠/ ٣٢.

<sup>(</sup>۲) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم ٣٤٠٢، ٤/ ١٥٦.

<sup>(</sup>٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (قولوا آمنا بالله)، رقم ٤٤٨٥، ٢٠ /٦.

الكهف، ولون كلبهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين بعض البقرة الذى ضرب به قتيل بنى إسرائيل، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن ولا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم أو دينهم.

ثم إذا جاء شيء من هذا القبيل -أي: ما سكت عنه الشرع ولم يكن فيه ما يؤيده أو يفنده – عن أحد من الصحابة بطريق صحيح، فإن كان قد جزم به فهو كالقسم الأول، يقبل ولا يرد، لأنه لا يعقل أن يكون قد أخذه عن أهل الكتاب بعد ما علم من نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تصديقهم. وإن كان لم يجزم به فالنفس أسكن إلى قبوله، من النبي صلى الله عليه وسلم، أو ممن من النبي صلى الله عليه وسلم، أو ممن من النبي صلى الله عليه وسلم، أو ممن أهل الكتاب، لا سيما بعدما تقرر من أن أخذ الصحابة عن أهل الكتاب كان قليلاً بالنسبة لغيرهم من التابعين ومن يليهم.

أما إن جاء شيء من هذا عن بعض التابعين، فهو مما يتوقف فيه ولا يحكم عليه بصدق ولا يكذب، وذلك لقوة احتمال السماع من أهل الكتاب، لما عرفوا به من كثرة الأخذ عنهم، وبعد احتمال كونه مما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وهذا إذا لم يتفق أهل الرواية من علماء التفسير على ذلك، أما إن اتفقوا عليه: فإنه يكون أبعد من أن يكون مسموعًا من أهل الكتاب، وحينئذ تسكن النفس إلى قبوله والأخذ به (۱).

ويجمل الشنقيطي الأمر فيقول: "ومن المعلوم: أن ما يروى عن بني إسرائيل من الأخبار المعروفة بالإسرائيليات له ثلاث حالات، في واحدة منها يجب تصديقه وهي: ما إذا دل الكتاب أو السنة الثابتة على صدقه، وفي واحدة يجب تكذيبه، وهي: إذا ما دل القرآن والسنة على كذبه، وفي الثالثة: لا يجوز التكذيب ولا التصديق، وهي ما إذا لم يثبت في كتابٍ ولا سنة صدقه ولا كذبه،").

<sup>(</sup>١) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ١/

<sup>(</sup>٢) أضواء البيان، ٤/ ٢٠٣ - ٢٠٤.

### عيسى عليه السلام والتوراة

عيسى ابن مريم عليه السلام، أحد أنبياء الله الكرام، ومن أولي العزم من رسله، أرسله الله إلى بني إسرائيل، وعلمه التوراة والإنجيل، وأخبر أنه جاء مصدقًا لما في التوراة، إلا أنه نسخ بعض أحكامها، وأباح لأتباعه بعض ما حرم فيها.

قال السمرقندي: «فعلّمه الله بالوحي والإلهام والحكمة، يعني: الفقه، والتوراة والإنجيل، يعني: يحفظ التوراة عن ظهر قلبه. وقال بعضهم: وهو عالم بالتوراة، وقال بعضهم: ألهمه الله بعد ما كبر حتى تعلم في مدة يسيرة»(١).

وقال ابن كثير: ﴿ وَٱلْتَوْرَئِةَ وَٱلْإِنِمِيلَ ﴾ ؛ فالتوراة: هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى بن عمران، والإنجيل: هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليهما السلام، وقد كان عيسى عليه السلام، يحفظ هذا وقد كان عيسى عليه السلام، يحفظ هذا وهذا (٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَكِيةِ وَلِأُمِلَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُم فَاتَعُوااللَّهَ وَأَطِيعُونِ (اللهِ عَالِيَةِ مِن رَبِيكُمُ فَاتَعُوااللَّهَ وَأَطِيعُونِ (اللهِ عَالِيةِ مِن رَبِيكُمُ

قال الطبري: «وإنما قيل: ﴿وَمُعَكِنَّا لِمَا بَيْكَ يَدَى مِن التَّوْرَكِةِ ﴾؛ لأن عيسى صلوات الله عليه، كان مؤمنًا بالتوراة مقرًّا بها، وأنها من عند الله. وكذلك الأنبياء كلهم، يصدّقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله، وإن اختلف بعض شرائع أحكامهم، لمخالفة الله بينهم في ذلك. مع أنّ عيسى كان – فيما بلغنا – عاملًا بالتوراة لم يخالف شيئًا من أحكامها، إلا ما خفّف لم يخالف شيئًا من أحكامها، إلا ما خفّف

وقال ابن عطية: «والتوراة هي المنزلة على موسى عليه السلام، ويروى أن عيسى كان يستظهر التوراة وكان أعمل الناس بما فيها، ويروى أنه لم يحفظها عن ظهر قلب إلا أربعة: موسى، ويوشع بن نون، وعزير، وعيسى عليهم السلام»(\*).

<sup>(</sup>٢) المحرر الوجيز ١/ ٤٣٨.

<sup>(</sup>٣) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٤.

<sup>(</sup>۱) تفسير السمرقندي ۱/ ۲۱٤.

الله عن أهلها في الإنجيل، مما كان مشددًا عليهم فيها»(١).

ويقول الرازي: «اعلم أنه عليه السلام لما بين بهذه المعجزات الباهرة كونه رسولًا من عند الله تعالى، بين بعد ذلك أنه بماذا أرسل، وهو أمران، أحدهما: قوله: ومصدقًا لما بين يدي من التوراة...، وأنه يجب على كل نبى أن يكون مصدقًا لجميع الأنبياء عليهم السلام، لأن الطريق إلى ثبوت نبوتهم هو المعجزة، فكل من حصل له المعجز، وجب الاعتراف بنبوته، فلهذا قلنا: بأن عيسى عليه السلام يجب أن يكون مصدقًا لموسى بالتوراة، ولعل من جملة الأغراض في بعثة عيسى عليه السلام إليهم؛ تقرير التوراة وإزالة شبهات المنكرين وتحريفات الجاهلين، وأما المقصود الثاني من بعثة عيسى عليه السلام قوله: ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ١(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَىٰ ءَاثَدِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمُ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَدَةُ وَءَاتَيْنَكُ ابْنِ مَرْيَمُ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَدَةِ وَهُدَى وَنُورٌ وَمُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَدَةِ وَهُدَى وَمُوعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ اللَّهُ المَنْ اللَّهُ اللَّهُ الْمُتَقِينَ اللَّهُ الْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُعِلَمُ اللَّهُ الْمُعَلِيْنَا الْمُعِلَّ الْمُعَالِمُ الْم

قال القنوجي: «أي: مصدقًا وهاديًا وواعظًا ﴿ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴾. وهذا ليس بتكرار

للأول؛ لأن في الأول إخبارًا بأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة، وفي الثاني إخبار بأن الإنجيل مصدق للتوراة، فظهر الفرق بينهما (٣٠٠).

قال ابن كثير: ﴿ ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْدِ مِنَ التَّوْرَائِةِ وَهُدُى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾، أي: متبعًا لها، غير مخالف لما فيها، إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كما قال تعالى إخبارًا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿ وَلِأُعِلَ لَكُمُ بِعَضَ اللَّذِى عَلَيْكُمُ ﴾؛ ولهذا كان المشهور من قولي العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة (٤٠).

فعلم أن عيسى عليه السلام كان مؤمنًا بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، متبعًا لها، لم يخالفها إلا في أشياء قليلة.

وموسى وعيسى وجميع الأنبياء كان دينهم الإسلام العام، وهو: توحيد الله عز وجل، وعبادته وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْ دَاللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ أَلْإِسْلَكِمِدِينَا فَكَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ (١٥ عمران: ٨٥].

وقال عن نوح عليه السلام: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنَّ

<sup>(</sup>٢) مفاتيح الغيب ٨/ ٢٣٠.



<sup>(</sup>٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ٣/ ٤٣٩.

<sup>(</sup>٤) تفسير القرآنّ العظيم ٣/ ١٢٦.

<sup>(</sup>۱) جامع البيان ٢/ ٤٣٨.

## أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٧٢].

وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ إِزَاهِيمُ يُهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَاكَانُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ اللهِ [آل عمران: ٢٧].

وقال عن موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفَوْم إِن كُنْتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكُّلُوا إِن كُنتُمُ مُسْلِمِينَ ﴿ [يونس: ٨٤].

وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿ وَوَقَلْنِي مُسلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّدلِحِينَ ﴾ [يوسف:١٠١].

فلا يقال: دين موسى عليه السلام اليهودية، بل دينه الإسلام، وأتباعه سموا باليهود؛ إما لقولهم: هدنا إليك، أي: تبنا ورجعنا، أو نسبة ليهوذا أكبر أولاد يعقوب عليه السلام، وكذلك دين عيسى عليه السلام الإسلام، وليس النصرانية، والنصاري هم أتباعه الذين نصروه وآزروه.

لكنه عليه السلام كان متبعًا للتوراة حافظًا لها مقرًّا بها؛ لأنه من جملة بني إسرائيل الذين أرسل فيهم موسى عليه السلام، ثم أنزل الله عليه الإنجيل، وفيه تصديق لما في التوراة، كما سبق. فنبي الله عيسى عليه السلام من بني إسرائيل من غير خلاف، «لا ريب أن قوم موسى عليه السلام هم بنو إسرائيل، وبلسانهم نزلت التوراة، وكذلك بنو إسرائيل هم قوم المسيح عليه السلام، وبلسانهم كان المسيح يتكلم»(١).

### صفات الرسول الكريم وأتباعه في التوراة

قال ابن القيم: «لو لم يظهر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوة سائر الأنبياء، فظهور نبوته تصديق لشهادتهم وشهادة لهم بالصدق، فإرساله من آيات الأنبياء قبله، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في قوله: ﴿ بَلْجَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ المُرْسَلِينَ ( الصافات: ٣٧] ( ( الصافات: ٣٧)

فلقد جاءت صفات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصفات الذين على دينه في التوراة، إلى أن وصل الحد ببني إسرائيل أن يعرفوه كما يعرفون أبناءهم.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِئَبَ يَعْرِفُونَهُۥ كُمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكُنُمُونَ ٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ [القرة:٢٤٦].

وفيما يلي بيان لبعض صفاته وصفات الذين معه كما وردت في التوراة.

## أولًا:صفات الرسول الكريم في التوراة:

إنَّ وصف النبي في التوراة واضحٌ وضوح الشمس في رابعة النهار، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّي ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَيْنَةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُونِ

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح، ابن تيمية ٢/ ٩٤.

<sup>(</sup>٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى .070 /7

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكِرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْمُنْكِرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَلْلَ الْتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِيكِ
مَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَكُرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ
الَّذِي الْإِلَى مَعَمُّ أَوْلَيْكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ اللهُ اللهُ

قال ابن كثير: «وهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء، بشروا أممهم ببعثه، وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم»(١).

قال أبو السعود في معرض صفاته المذكورة في الآية: «فإن ما بين فيه: من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحلال الطيبات، وتحريم الخبائث، وإسقاط التكاليف الشاقة؛ كلّها من آثار رحمته الواسعة»(٢).

ولقد جاءت صفات النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة كما جاءت في القرآن، ويظهر ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (عن عطاء بن يسار، قال:لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت:أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال:أجل، والله إنه لموصوف في

التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلويًا غلفًا) (٣).

فلقد جمع هذا الحديث الكثير من صفاته صلى الله عليه وسلم في التوراة، وفي القرآن والسنة نظير لها، وفيما يلي تفصيل ذلك:

الوصف الأول: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا)، ويناظره في القرآن:قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّيِّ إِنَّا آرْسَلْنَكَ شَنهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَسَدِيرًا ﴿ الْأَحزاب:٤٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَكَ شَنِهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ۞﴾ [الفتح:٨].

الوصف الثاني: (حرزًا للأميين)، أي: حصنًا للأميين، وهم: الذين لا كتاب لهم من العرب وغيرهم، ويقابله في القرآن قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الْأُمِيِّانَ رَسُولًا مِنْهُمُ يَتَلُوهُ عَلَيْهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِنْبَ وَالْحِكْمَة وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَغِي صَلَالِي ثَبِينِ ﴾ وألحِكْنَبَ وَالْحِكْمَة وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَغِي صَلَالِي ثَبِينِ ﴾ والجمعة: ٢].

الوصف الثالث: (أنت عبدي ورسولي)،

<sup>(</sup>٢) إرشاد العقل السليم ٣/ ٢٧٩.



 <sup>(</sup>٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (إنّا أرسلناك شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا)، رقم ٢١٢٥، ٣/ ٦٦.

<sup>(</sup>١) تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤٨٣.

ويقابله في القرآن قوله تعالى: ﴿وَأَنَدُۥ لَمَّا قَامَ عَبَدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِلدَّا اللَّهُ ﴾ [الجن:١٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَبِّ مِمَّا زَّنَكَ عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَأَدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ اللهِ [البقرة: ٢٣].

وقوله أيضًا: ﴿ سُبْحَنَ ٱلَّذِيّ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ عَلَىٰ الْمَسْجِدِ ٱلْحَكَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا اللّهِ مِنْ الْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا اللّهِ مِنْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ مَنْ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ ا

الوصف الرابع: التوكل على الله؛ (سمّيتك المتوكّل)، وقد جاءت في هذا المعنى آيات كثيرة في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا عَنَهُتَ فَتَوَكّلُ عَلَى اللّهِ إِنّ اللّهَ يُحِبُ اللّهَ وَلِهُ اللّهَ اللّهُ اللّهَ اللّهُ اللّهُ اللّهَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

وقوله تعالى: ﴿ وَقُوكَ لَا عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَمَدِيعٌ بِحَمَّدِهِ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى اللَّهِ إِنَّالَ اللهِ إِنَّالَ اللهِ إِنَّالَ إِنْ اللهِ إِنَّالَ اللهِ إِنَّالَ اللهِ اللهِ إِنَّالَ اللهِ إِنَّالَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ ال

وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَالُهُ وَكَالُهُ وَكَالُهُ وَكَالُهُ وَكَالُهُ وَكَالُهُ وَكَالُهُ وَكَالُهُ وَكَالُهُ وَكِيلًا ﴿ إِلاَّ حِزَابِ: ٣].

الوصف الخامس: اللين والرحمة، (ليس بفظ ولا غليظ)، ومثله في القرآن قوله تعالى: ﴿ فَيِمَا رَحْمَةً مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكُ فَاعْفُ عَمَّهُم وَاسْتَغْفِرْ فَيْ الْأَمَّرِ فَإِذَا عَرَبُتَ وَاسْتَغْفِرْ فَكُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي ٱلْأَمَّرِ فَإِذَا عَرَبُتَ

فَتُوكَكُلُ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الل

الوصف السادس: عدم الصخب في الأسواق، (ولا سخّابِ في الأسواق) وقد ترجم البخاري في صحيحه لهذا الأثر وعقد بابًا أسماه: باب كراهية الصّخب في السّوق(١٠).

الوصف السابع: العفو والمغفرة، (لا يدفع بالسيئة السيئة، لكن يعفو ويغفر)، وقد تخلق النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق العظيم.

المعمل المعليم. قال تعالى: ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّمَةُ فَتُنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِيفُونَ ﴿ آلَ ﴾ [المؤمنون: ٩٦]. وقال أيضًا: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى الْمُسَنَةُ وَلَا السَّيِّمَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ آحْسَنُ فَلِيَا اللَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَلَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَإِنَّ حَمِيمٌ ﴿ آ ﴾ إنصلت: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿فَأَعَفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحُ إِنَّ اللهَ يُصِبُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣]. وقال سبحانه: ﴿فَأَعَفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ

الوصف الثامن: إقامة التوحيد، (لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله)، وقد كان ذلك أساس دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأساس دعوة الأنبياء جميعًا، ومثله في القرآن

🏅 🏕 [آل عمران: ١٥٩].

<sup>(</sup>۱) صحيح البخاري ٣/ ٦٦.

قوله تعالى: ﴿ فَأَعْلَرُ أَنَّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

الوصف التاسع: (ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا)، ومثاله في القرآن قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴿ البقرة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿ مُمَّ بُكُمُ عُنَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ هُمُ مَا لَهُ اللهِ عَنْدُ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ هُلًا اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

قال ابن القيم: "وقوله: يفتح العيون العمي والآذان الصم والقلوب، إشارة إلى أن تكميل مراتب العلم والهدى الحاصل بدعوته في القلوب والأبصار والأسماع، فباينوا بذلك أحوال الصم البكم العمي الذين لهم قلوب لا يعقلون بها، فإن الهدى يصل إلى العبد من هذه الأبواب الثلاثة، وهي مغلقة عن كل أحد، لا تفتح إلا على أيدي الرسل، ففتح الله بمحمد صلى الله والآذان الصم، فسمعت عن الله، والقلوب والآذان الصم، فسمعت عن الله، والقلوب عقلاً وقولاً وعملاً، وسلكت سبل مرضاته ذلك، (۱).

## ثانيًا: صفات أتباع النبي عليه السلام في التوراة:

جاء وصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل، ذلك الجيل الذي نصر النبي صلى الله عليه وسلم وآزره، وحمل على أكتافه عبء إقامة دولة الإسلام، جاء وصفهم وصفًا دقيقًا كما أخبرنا القرآن في نهاية سورة الفتح.

قال تعالى: ﴿ عُمَّادُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَ الْمِثَاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَمَّا عُيْنَهُمُ مَّ تَرَبَهُمْ أَرَكُمَا سُجَدًا يَبْتَهُمُ مَّ تَرَبَهُمْ أَرَكُمَا سُجَدًا يَبْتَهُمُ مَّ تَرَبَهُمْ أَرَكُمَا سُجَدًا وَبُحُوهِهِم مِنْ أَثْرَ السُّجُودُ ذَلِكَ مَثْلُهُمْ فِي التَّوْرَئَةُ وَمَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَئَةُ وَمَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَئَةُ وَمَثَلُهُمْ فِي النَّوْرَئَةُ وَمَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَئَةُ وَمَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَئَةُ وَمَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَئَةُ وَمَثَلُهُمْ فَي اللَّهُ الذِينَ مَامَنُوا وَعَمِلُوا لِيَعْفِظُ مِهُمُ اللَّهُ الذِينَ مَامَنُوا وَعَمِلُوا لِيَعْفِظُ مِهُمُ الْكُفُارُ وَعَدَاللَّهُ الذِينَ مَامَنُوا وَعَمِلُوا اللهُ الذِينَ مَامَنُوا وَعَمِلُوا اللهُ الله

وصفتهم التوراة بأربع صفات عظيمة، على مثلها تقوم دولة الإسلام، قال سيد قطب: «إنها صورة عجيبة يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع، صورة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة، حالاتها الظاهرة والمضمرة؛ فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم: ﴿ أَشِدَاهُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاهُ بَيْنَهُمْ ﴾، ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم: ﴿ مُرَّنَهُمْ رُكُما تصور قلوبهم وما يشغلها مُحَدًا ﴾، ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها

<sup>(</sup>۱) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ٣٦٤ /٢.

ويجيش بها: ﴿يَبْتَغُونَ فَضَلا مِنَ اللهِ وَرِضَوَنَا ﴾، ولقطة تصور أثر العبادة والتوجه إلى الله في سمتهم وسماتهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِنْ أَثْرِ ٱلسُّجُودِ ﴾»(١)، وتفصيلها كالآتى:

الصفة الأولى: ﴿أَشِدْاَهُ عَلَى ٱلْكُفَّادِ رُحَمَّاهُ السَّفَةِ الْأُولَى: ﴿أَشِدْاَهُ عَلَى ٱلْكُفَّادِ رُحَمَّاهُ السَّاسُةِ ﴾.

يقول الطبري: « ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّادِ ﴾ ، عليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم ﴿ رُحَمَّا مُ يَنْهُمُ ﴾ يقول: رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم» (٢).

قال الزمخشري: «بلغ من تشدّدهم على الكفار:أنهم كانوا يتحرّزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه»(٣).

وقال البيضاوي: «والمعنى: أنهم يغلظون على من خالف دينهم، ويتراحمون فيما بينهم كقوله: ﴿ إِنَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَةً عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَةً عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٤٥] تراهم ركّعًا سحّدًا (٤٠).

الصفة الثانية: ﴿ رَبُّهُمْ رُكُّما سُجَّدًا ﴾. قال ابن كثير: «وصفهم بكثرة العمل

وكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال»(٥).

يقول سيد قطب: «وإرادة التكريم واضحة وهو يختار من هيئاتهم وحالاتهم، هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة: ﴿رَرَبُهُمْ رُكُمُ سُجُدًا ﴾.. والتعبير يوحي كأنما هذه هيئتهم الدائمة التي يراها الرائي حيثما رآهم. ذلك أن هيئة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة، وهي الحالة الأصلية لهم في حقيقة نفوسهم فعبر عنها تعبيرًا يثبتها كذلك في زمانهم، حتى لكأنهم يقضون زمانهم كله ركعًا سجدًا»(٢٠).

الصفة الثالثة: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضَلَا مِنَ ٱللَّهِ وَرِضَوَنَا ﴾.

قال السعدي: «أي: هذا مقصودهم: بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه»(٧).

قال الجزائري: «يطلبون بصلاتهم بعد إيمانهم وتعاونهم وتحاببهم وتعاطفهم مع بعضهم، يطلبون بذلك ﴿فَضْلاً مِنَ اللهِ وهذا ورضا الله، وهذا أسمى ما يطلب المؤمن، أن يدخله الله الجنة بعد أن ينقذه من النار ويرضى عنه» (٨).

ويقول سيد قطب: «فهذه هي صورة مشاعرهم الدائمة الثابتة، كل ما يشغل بالهم، وكل ما تتطلع إليه أشواقهم، هو فضل الله

<sup>(</sup>١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٣١.

<sup>(</sup>۲) جامع البيان ۲۲/ ۲۲۱.

<sup>(</sup>٣) الكشاف ٤/ ٣٤٦.

<sup>(</sup>٤) أنوار التنزيل ٥/ ١٣٢.

<sup>(</sup>٥) تفسير القرآن العظيم، ٧/ ٣٦١.

<sup>(</sup>٦) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٣٢.

<sup>(</sup>٧) تيسير الكريم الرحمن، ص ٧٩٥.

<sup>(</sup>٨) أيسر التفاسير ٥/ ١١٨.

### موضوعات ذات صلة:

الإنجيل، عيسى عليه السلام، القرآن، الكتب المنزلة، موسى عليه السلام

ورضوانه. ولا شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشتغلون بهه(۱).

الصفة الرابعة: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِ بِعِد مِّنَ الْشُجُودِ ﴾.

قال الطبري: «بياضًا في وجوههم يوم القيامة، وقال آخرون:بل ذلك سيما الإسلام وسمته وخشوعه، وعنى بذلك أنه يرى من ذلك عليهم في الدنيا»(٢).

ويقول سيد قطب: «سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف، وليست هذه السيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله: ﴿مِّنَ أَثْرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة، واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها؛ فهو أثر هذا الخشوع؛ أثره في ملامح الوجه؛ حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة، ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاءة الهادئة، والذبول الخفيف، الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلا»(٣).

<sup>(</sup>١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٣٢.

<sup>(</sup>٢) جامع البيان ٢٦٤ / ٢٦٤.

<sup>(</sup>٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٣٢.